الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي طاهر * سعيدة *
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم :اللغة العربية و آدابها

الملامح التاريخية في أدب أبي العلاء المعري من خلال كتاب: ذكرى تجديد أبي العلاء

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ليسانس
تخصص نقد ومناهج

إعداد الطالبتين:
بوقنينة رقية
عبدون فاطيمة الزهرة

إشراف:
بن يخلف نفيسة

السنة الجامعية: 2018/2017

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وعلى تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة "بن يخلف نفيسة" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

الإهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على الذي بعث نورا وهداية للعالمين–سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال الله فيهما: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"،إلى مصدر الحنان ونبع الأمان ومصدر الخير والاطمئنان، إلى من ربتني فأحسنت تربيتي، وسهرت على رعايتي وتعبت من أجلي، وانتظرت نجاحي، إلى من أرشدتني للأخذ بأسباب النجاح وغرست في نفسي روح الاجتهاد والمثابرة، إلى قرّة عيني "أمّي الحبيبة" مغنية أطال الله في عمرها، وإلى من ضحى بماله وبما يملك لتوفير الراحة والسعادة، إلى من علمني حبّ العلم والمعرفة، إلى من زرع في نفسي الأمل وشجعني على الدراسة، إلى من أحسن تأديبي، إلى سر نجاحي وأملي في الحياة "أبي العزيز" مسعود حفظه الله لي.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي: جمال–محمد أمين

إلى أخواتي: خيرة–عائشة.

إلى من عمل معي بكد بغية إتمام هذا العمل، صديقاتي ورفيقات دربي رقية–إيمان–حنان–مريم–سارة– أسماء

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، منارة العلم والإمام المصطفى، الأمي الذي علم المتعلمين، سيد الخلق ورسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الغالية "زهرة" أطال الله في عمرها.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح، إلى الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر، إلى ما أنا عليه، أبي الكريم "طيب" أدامه الله لي.

إلى اللذين يسري حبهم في فؤادي إخوتي: محمد-إبراهيم-عبد الحميد-عيسى.

إلى أخواتي: فاطمة، سمية وإلى أحفاد العائلة: أميرة ريتاج، دعاء سيرين، محرز عبد الرؤوف.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح صديقاتي ورفيقات دربي: فاطيمة الزهرة، إيمان، حنان، مريم، سارة، أسماء.

مقدمة:

شهدت الساحة العربية في القرن العشرين جملة من التحولات المعرفية نتيجة المثاقفة مع الآخر واختلاف السياقات الفكرية والحضارية، مما دفع النقاد إلى اعتماد المناهج الغربية الحديثة بكل مالها من حمولة إيديولوجية وفكرية لاستعمالها في مساءلة النصوص العربية القديمة والحديثة، ولعلّ ذلك راجع لكون بعض نقادنا العرب يرى أنّ المناهج العربية النقدية القديمة لم تعد قادرة على استنطاق النصوص الإبداعية المعاصرة.

تكتسي المناهج النقدية أهميّة بالغة في الدراسات الأدبية باعتبارها طرقا وأساليب يتناول الناقد في ضوئها الأعمال الإبداعية، ومن هنا نشأت الحاجة إلى المنهج التاريخي حيث سعى بعض النّقاد إلى تطبيقه على الأدب من منطلق أنّه يتبع الظواهر ويفسّرها فجعلوه ميدانا فسيحا لاهتماماتهم اللغوية، لذلك يبدوا من العسير الوقوف على أي تجربة نقدية دون رصد أهم التحولات المعرفية التي مرت بها التيارات النقدية.

تعتبر تجربة المفكر والنّاقد طه حسين واحدة من أهم التجارب التي سعت إلى إثراء النقد العربي تنظيرا وتطبيقا، خاصة فيما يتعلق بالحقل التاريخي حيث يعتبر كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء المعري" (رسالة) نسخة عن رسالة دكتوراه قدّمها طه حسين وقد تضمنت ما يقارب المائتين وتسعين صفحة، منوعة على خمس مقالات أوّلها الحديث عن زمان أبي العلاء ومكانه، وفي المقالة الثانية تحدّث عن حياته أمّا المقالة الثالثة فتجلت في تطبيق الحتمية التاريخية على أدب أبي العلاء، وفي المقالة الرابعة تحدّث طه حسين عن علم أبي العلاء وطغيان

الصيغة العلميّة على أسلوبه الأدبي ليتطرق في المقالة الخامسة والأخيرة إلى فلسفة أبي العلاء محاولا تجليّ أسرارها وحقائقها.

انطلاقا من ذلك ارتأينا أن تكون دراستنا معنونة بـ: "الملامح التاريخية في أدب أبي العلاء من خلال كتاب ذكرى تجديد أبي العلاء المعرّي"، وقد عالجنا هذا الموضوع انطلاقا من إشكالية أساسية مفادها رصد كيفية تمثّل طه حسين للمنهج التاريخي، والوقوف على أهم الخلفيات والمرجعيات الفكرية التي اعتمدها ابتغاء البحث في ما إذا وفق طه حسين في التوفيق بين المقولات النظرية والممارسة التطبيقية للنظرية التاريخية من خلال محاولته دراسة النثر عند أبي العلاء المعرّي في كتابه " ذكرى تجديد أبي العلاء المعرّي".

للإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نصنّف البحث إلى مقدّمة وثلاثة فصول، خصّص فيها الفصل الأوّل لدراسة المنهج التاريخي ومكانته في النقد الأدبي، أمّا الفصل الثاني فقد رُصِد لتَبيُّن مكانة النثر في عصر أبي العلاء المعرّي، فيما كان الفصل الثالث محاولة تطبيقية نروم من خلالها الوقوف على ملامح المنهج التاريخي في كتاب ذكرى تجديد أبي العلاء المعرّي للدّكتور طه حسين، أمّا الخاتمة فقد خصّصت لرصد نتائج التي تمّ التوّصل إليها.

لقد اعتمدنا جملة من المصادر والمراجع يسرت سبيل البحث ولعلّ أهمها المدونة وهي كتاب ذكرى تجديد أبي العلاء لطه حسين، بالإضافة بعض كتب طه حسين التي تناولت النثر وتاريخ الأدب العربي نذكر منها: العصر العباسي الأوّل للدّكتور شوقي ضيف، وكتاب النقد الأدبي الحديث: قضاياه ومناهجه للدكتور صالح هويدي.

من أهم الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر والمراجع وتعاملنا مع مدونة جمعت بين أسلوبين كلهما بليغ للغاية؛ حيث خصص طه حسين كتابه "ذكرى تجديد أبي العلاء" لكشف ملامح التجديد في أدب أبي العلاء المعرّي فكان الكتاب متضمنا لأهم ما كتب نثرا من قبل أبي العلاء، ولكن وفق رؤية خاصة وأسلوب مميّز للأديب طه حسين.

نأمل في الأخير أن نكون قد أسهمنا ولو بالنزر اليسير في الكشف عن أهم ملامح المنهج التاريخي في كتاب ذكرى تجديد أبي العلاء المعرّي، وأن يكون بحثنا هذا قد استوفى بعض النقاط المهمّة، فإن وفقنا فمن الله وإن أخطئنا فمن أنفسنا والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

1/ المناهج السياقية:

تسعى المناهج السياقية إلى إعادة إنتاج دالة النصر عبر إبراز حركة النشاط اللغوي المؤسّس على تفاعل العناصر اللغوية، وتكشف هذه المناهج عمّا وراء الأنساق من رؤى سوسيولوجية تتصل بحياة المؤلف وبالظروف الاجتماعية التي يحتكم إليها النص في تشكيله، وهذا يتطلب إعادة البنى النصية إلى واقعها الاجتماعي ابتغاء كشف الأنساق الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي تتموضع في الأبنية والتي تمثل الجوانب المرجعية للغة.

تصدر المناهج السياقية عن نظرة مفادها أن النص الأدبي تنظيم ثقافي اجتماعي ينتمي إلى سياق تاريخي يؤثر فيه ويتأثر به، وهذا يقتضي تجاوز الشكل الأدبي وعياً للمضمون الاجتماعي المنتج الأدبية الأدب[1] وهذا يعني أنّ المناهج الخارجية:"هي التي تدرس النصوص الأدبية في ظروف نشأتها والسياقات الخارجية لها والتأثيرات التي يتوقع للنص أن يؤثر بها "[2]

إنّ "المناهج الخارجية أو السياقية التي تعاين النص من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي وتظهر السياق العام لمؤلفه ومرجعيته النفسية، هي دعوة ضمنية إلى الإلمام بالمرجعيات الخارجية والسياقات المحيطة بالمبدع بغية دخول النص"[3]؛ فالعمل الفنّي لا يصدر عن فراغ فكري أو اجتماعي إذ لابدّ من مبدع ولابد لهذا المبدع من موقف اجتماعي، ومن هنا نستشرف في الدرس الأدبي دور

---

[1] ينظر :عبد الله عنبر:المناهج النصية والنظريات النقدية،دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلدّ37،العدد01، 2010 ص97.

[2] الزبيدي:مفهوم البنّاء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث،مجلة الأقلام،العدد الثامن،ص108-109.

[3] سويدان،أبحاث في النصر الروائي ص.17-18.

هذا المبدع في إنتاج النص وصياغته الجمالية، ثم يظهر دور الواقع الاجتماعي الذي أثر في المبدع والعمل الفني على السواء.[1] مما يدل على أن النقد السياقي على الإسقاطات الخارجية والأحكام التذوقية والملابسات المحيطة بالنص في تحديد المقاصد والدلالات، حيث يستعين الناقد في قراءاته للنصوص بالملابسات الاجتماعية والثقافية والنفسية ونحوها.

بناء على ما سبق يمكن القول أن النقد السياقي يتناول الأبعاد الخارجية للنص التي تعلق بكاتب النص وبيئته كما هو الحال بالنسبة للمنهج التاريخي الذي يركز معتمدا على الكاتب والبيئة التي نشأ فيها ومدى تأثيرها على النص المكتوب.

2/ نشأة المنهج التاريخي:

عرف المنهج التاريخي بأنه:"الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتقسيم الحوادث التاريخية، كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل"[2]،كما عرف أيضا بأنه " أداة البحث في المشكلات أو المظاهرات الإعلامية في بعدها التاريخي أو هو سياق الوقائع والأحداث (وصف الماضي) ووصف الظاهرة الإعلامية كما حدثت في الماضي مثل تسجيل المؤسسات والوسائل الإعلامية والبارزين فيها"[3]، وهو منهج نقدي يركز على العلاقة القائمة بين العمل الأدبي والمجتمع الذي يتغير بفعل الزمن؛ فتتغير عاداته وتقاليده وأنماط سلوكه.

---

[1] بسّام قطوس،دليل النظرية النقدية المعاصرة ط1 ص21-22.

[2] محمد جلاء إدريس:مناهج البحث العلمي،نظريا وتطبيقيا:الجامعة الإسلامية العالمية،1998 ص124-125.

[3] محمد عبد الحميد:البحث العلمي في الدراسات الغعلامية،القاهرة،عالم الكتبط2، 2002ص26.

يتخذ المنهج التاريخي من تاريخ الحوادث السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتغيير ظواهره أو التفسير التاريخ الأدبي لأمّة ما، فهو-إذن-يفيد تفسير تشكل خصائص اتجاه أدبي ما، ويعين على فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية المرتبطة بالمجتمع، انطلاقا من قاعدة "الإنسان ابن بيئته"، ويتكئ النقد التاريخي "على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية: فالنصر ثمرة صاحبه والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة والبيئة جزء من التاريخ فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته".[1]

يعد المنهج التاريخي على الرغم من القصور الذي يعتريه "واحدا من أكثر المناهج اعتمادا في ميدان البحث الأدبي وأكثرها صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطوراتها"[2]، إذ يمثل "المنهج الوحيد الذي يمكننا من دراسة المسار الأدبي لأي أمّة من الأمم، ويمكننا من التعرّف على ما يتميز به أدبها من خصائص"[3]، و"النقد العلمي" Critique Scientifique الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر ليس إلاّ شكلا مبكرا للنقد التاريخي الذي يقوم على إسقاط وقائع الماضي وأحداثها، ووصف هذه الوقائع وتسجيلها وتحليلها وتفسيرها وفق أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

---

[1] عبد السلام المسدّي:في آليات النقد الأدبي،دار الجنوب تونس،1994،ص88.

[2] الربعي بن سلامة:الوجيز في مناهج البحث الأدبي،وفنيات البحث العلمي،منشورات جامعة منتوري،قسنطينة2001-2002،ص38.

[3] المرجع نفسه، ص34.

يعتمد الناقد في هذا المجال على المخطوطات والنقوش المحفوظة والأحجار والأوراق، حيث يتبع هذا المنهج دراسة حالات تطور البنيات والتراكيب والدلالات مع الاهتمام بالتأثير الإقليمي الجغرافي على الظواهر اللغوية عبر التاريخ، إذ يهتم بوصف ما مضى من وقائع وتواريخ تدوينها ويقوم بدراستها وتفسيرها وتحليلها وفق أسس علمية دقيقة، مما يجعل الباحث يشعر بالمشكلة ويقوم بتحديدها ويضع الفرضيات المناسبة لدراستها وتحليلها قصد الوصول إلى حقائق وتعميمات تساعده على فهم الحاضر على ضوء الماضي[1]، ومن جملة النقاد الذين أسسوا للمنهج التاريخي نذكر **شارل أوغست سانت بيف (1804-1869 Ch.A.St Beuve) وهيبوليت تين (1828-1893 H.Taine) وفرديناند برونتيار (1849-1906 F.Bruntière).**

2.1. إسهامات شارل أوغست سانت بيف:(1804-1869) Charle Augustin Sainte Beuve:

يعتبر هذا الناقد من أوائل النقاد الذين أسهموا في دفع عجلة التطور بالنسبة للمنهج التاريخي متأثرا في ذلك باتجاهه العلمي التجريبي، الذي درس من خلاله الأدب، فكان يبحث في الإنتاج الأدبي لا من حيث دلالته على المجتمع فحسب كما فعلت **(مدام دي ستال)**، ولكن من حيث دلالته على مؤلفه فكانت أحكامه في النقد منصبة على شخصيات المؤلفين، ووظيفة النقد الأدبي عنده هي الالتفات إلى ذات المؤلف حتى يفهمه قراءه وهو بذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب.

[1] عبد القادر عبد الجليل:علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2004، ص127.

دعا "**سانت بيف**" في ظل منهجية نقده هذه إلى دراسة شخصيات الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم وأممهم وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم وأسرهم وتربياتهم وأمزجتهم وثقافاتهم وتكويناتهم المادية الجسمية وخواصهم النفسية والعقلية وعلاقاتهم بأصدقائهم ومعارفهم والتعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار، مع محاولة تبني فترات نجاحهم وإخفاقهم وجوانب ضعفهم، وكل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم.[1]

لقد دعا إلى العناية بالأدباء وضرورة دراسة شخصياتهم عبر الكشف عن كل ما يتعلق بهم لأنه يعتقد أن ما يعايشه الكاتب سيؤثر حتما على ما ينتجه، وهذا يعني أنّ سانت بيف قد ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا إيمانا منه بأن النص تعبير عن مزاج فردي، ولهذا فهو يدعو إلى ما يسمى بفكرة الفصائل في الأدباء والمبدعين.

لقد كان سانت بيف يسعى إلى تأسيس تاريخ طبيعي للأدب عبر محاولة تصنيف أدباء عصره إلى طوائف وأنماط على النحو الذي ذهب العلماء فيه إلى تصنيف النبات والحيوانات وهم يحددّون فصائلها، أمّا حجر الزاوية في منهج سانت بيف النقدي لدراسة أدب عصره فيتمثل في ميله الخاص نحو دراسة شخصيات الكتاب والأدباء أنفسهم، وصولا إلى فهم نتاجهم وتفسيره فقد تبدوا الشخصية عنده مفتاحا لفهم نتاجا وتذوقه.[2]

---

[1] محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن،الطبعة الثالثة،دار النهضة،مصر،القاهرة ص59-60.

[2] بسام قطوس:"المدخل إلى مناهج النقد المعاصر" دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية ط(1)،سنة 2006، ص43.

يتضمن مشروع سانت بيف دراسة الأحوال العامّة المحيطة بالشخصية أو النص المدروس للوقوف على دقائق المعلومات فقد رأى أنّنا إذا استطعنا أن نكسب معرفة بحياة الفنّان والمؤثرات الرئيسة التي أثرت عليه أمكننا أن نصل إلى فهم صحيح لعلمه، وأن نتجنب بالتالي الاهتمام بالعوامل التي لا تتدخل في صميمه ونتجنب أيضا فقدان معناه الحقيقي[1]، وهذا يعني أننا ينبغي في تصور هيبولت تين أن نتعامل مع العمل الأدبي بوصفه وثيقة تاريخية تؤرخ لحياة المبدع وظروف البيئة ومجتمعه على حد سواء.

2.2 إسهامات هيبولت تين: H.taine(1828-1893)

يعد هيبوليت تين الناقد الفرنسي الثاني الذي حمل لواء الدعوة إلى المنهج التاريخي وقد اتفق مع أستاذه بيف في الرؤية العامة، لكن تين كان أكثر انبهارا بقوانين العلوم الطبيعية وحتميتها الصارمة، فإذا كان بيف يرى الأدب أشبه ما يكون بالثمرة المكونة من شجرتها (شخصية الأديب)؛ فإنّ تلميذه كان يؤمن بأن الإنسان ليس سوى إنسان من أسمى الأعراق، ينتج الأدب والأشعار والفلسفات بطريقة طبيعية تشبه تماما إفراز دودة القز خيوط الحرير ليكون بذلك الناقد الأكثر حماسا والأشد رغبة في تأسيس علم وضعي للأدب.[2]

اعتبر تين أن الأديب فرد يعيش داخل إطار منظومة من القوانين الطبيعية ويخضع لجبريتها وينشئ أعماله وآثاره في داخلها؛ مما يجعله أثرا من آثارها التي

---

[1] جيروم ستولينتر :النقدّ الفني،"دراسة جمالية وفلسفية،ترجمة،د.فؤاد زكريا،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الطبعة (2) سنة 1981 ص698.

[2] صالح هويدي:"النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه"،منشورات جامعة السابع من أفريل،ليبيا الطبعة (1) سنة 1426 ص74.

كثيرا ما توجه مساره وتشل حريته وتطبعه بطابعها الذي لا يمكن أن يتخلف عنه وقد تميز هذا الأخير عن باقي النقاد بثلاثيته الشهيرة المتمثلة في الجنس–البيئة–العصر مرجعا إليها الدور الحاسم والأثر الفاعل في تكوين الأدباء وتمييزهم واحدا من الآخر[1]؛ حيث يمثل الجنس (Race):الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المتحدرة ومن عرف معين، أما البيئة فهي المكان أو الوسط (Milieu) أو بمعنى آخر الفضاء الجغرافي الذي سيفرض انعكاساته الاجتماعية على النص الأدبي، وفيما يتعلق بالعصر أو الزمان (Temps) فهو مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.[2]

هذا ما أكده تين في حديثه عن الاستعدادت النظرية الوراثية لجنس معين ومدى اختلافها عن باقي الأجناس، وهي استعدادات متعلقة بالمزاج وبناء الجسم وبعد ذلك عرّج على أهمية المحيط البيئي الذي يعيش الأديب في أجوائه العامّة كونه إنسانا اجتماعيا بمفرده، وبفعل ذلك يتم تعيين الأثر الحاصل في سلوكه من عدمه، ولهذا ركز تين على عنصر اللحظة الزمنية بوصفه عنصرا مهما تتم من خلاله معرفة تاريخ كتابة هذا الإبداع أو ذاك، ليكون كل عمل أدبي لما فيه من مزايا خاصة بمثابة وثيقة تاريخية تسجل تاريخ أمّة معيّنة.

[1] صالح هويدي:"النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه"،المرجع السابق،ص74.

[2] يوسف وغليسي:"مناهجى النقد الادبي مفاهيمها وأسسها"،"تاريخها وتطبيقاتها العربية"جسور للنشر والتوزيع،الجزائر، ط1، سنة 2007،ص16.

2.3. إسهامات فرديناند برونتيار (1849-1906) F.Brunetiére:

لقد تأثر النقد الأدبي بالنهضة العلمية وسعى إلى الاستفادة من مناهج العلم في تطوير الدراسة النقدية[1]، ففي مجال علم الأحياء مثلا سعى العلماء إلى دراسة الأحياء بعد تصنيفهم لها في فصائل ابتغاء الكشف عن خصائصها المميّزة وسماتها التي تتفرد بها عن سواها، ومن أبرز النظريات العلمية التي طبقت على الكائنات العضوية نظرية **تشالز داروين (Ch.Darwin,1809-1906)** في النشوء والارتقاء، وهي النظرية التي فصلها في كتابه **(أصل الأنواع)***،"والتي ذكر فيها أن الكائنات الحية تتطور بدءا من نشأتها البسيطة إلى كائنات أخرى أكثر تطورا وتعقيدا"[2]، بما فيها الإنسان الذي يعتبره كائنا تطوّر من صفة القرد إلى الصفة البشرية.

لقد كان للتطور العلمي أثر كبير على مختلف حقول العلم والفكر والأدب والثقافة؛ إذ سعى علماء الاجتماع وعلماء النفس والأخلاق إلى استثمار تلك التصورات النظرية في دراساتهم، ومثل ذلك ما فعله العالم الإنجليزي **Herbert Spencer (1820-1903)** في مجالات علم الاجتماع وعلم الأخلاق وعلم النفس **وأوغست كونت August Compte (1798-1857)** الذي طغت

[1] بسام قطوس "المدخل إلى مناهج النقد المعاصر"،دار الوفاء لدنيا الطباعة والشنر الإسكندرية ط(01)،2006 ، ص41.

* تشارلز داروين"اصل الأنواع"،ترجمة مجدي حمد المليجي،تقديم سمير حنا صادق،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2004.

[2] صالح هويدي:"النقد الادبي الحديث قضاياه ومناهجه،منشورات جامعة السابعة من أفريل ليبيا ط(01) سنة 1426 ص71.

النزعة العلمية على فلسفته الوضعية في علم الاجتماع إلى جانب عالم الاجتماع الشهير **دوركايم(Emile Durkheiem 1958-1917)**.[1]

آمن **فرديناند بروتيار** بنظرية التطور لدى **داروين (1809-1906)**[2]، وبذل جهودا معتبرة في تطبيقها على الأدب، متمثلا الأنواع الأدبية كائنات عضوية متطورة؛ حيث أعلن أن شعر الوعظ الديني قد تطوّر عن الشعر الغنائي دون أن يقدّم دليلا علميا يثبت صحة زعمه، ثم إن رأيه هذا يدعو إلى التساؤل عن كيفية تطور باقي أنواع الشعر كالشعر الحر مثلا؛ فالتطور يكون في نفس الصنف ولا يتطور الشيء إلى صنف آخر وخير مثال ذلك الإنسان الذي يتطور عبر فترات نموّه ولكن يبقى محافظا على أهم صفاته البيولوجية، وهذا ينطبق على الأدب فمثلا القصّة في العصر الحديث مرّت بمراحل متعددة وكل مرحلة تختلف عن الأخرى لكنّها لم تخرج عن طورها قصّة ولم تتحول إلى فن آخر كالخطابة أو الشعر.

لاحظ **بروتيار** أن التطور في حقل الظواهر الأدبية كثيرا ما يؤديّ إلى ظهور نوع جديد تتضح فيه بقايا نوع سابق على النحو الذي تتطور فيه الكائنات العضوية في نظرية داروين، حيث تنشأ بسيطة ثم تتطور إلى أجناس مختلفة، ثم تعود دورة الحياة لتنعكس صوب التدهور والتحلّل لتشكل بذلك عناصر لبدايات جديدة؛ وقد كتب "**فرديناند برونتيار**" عددا من المجلدات تحت عنوان **(تطور أنواع الأدب)** تناول في كل منها دراسة تطور فن من الفنون الأدبية كتطور الدراما

[1] المرجع نفسه،ص71.

[2] أحمد رحماني،نظريات نقدية وتطبيقاتها،مكتبة وهبة،القاهرة سنة 2004 ص120.

وتطور فن القصّة وفن الخطابة، مستقصّيا أصول كل فن منها وكيفية تطوره واستوائه إلى فن ناضج".[1] ولعلّ من أبرز نظريات **برونتيار** نظريته التي كانت سائدة في القرن السابع عشر حول تطور خطب الوعظ الديني إلى الشعر الغنائي المعروف بالشعر الرومانتيكي في القرن التاسع عشر.

لقد لاحظ هذا المفكر والناقد أن الموضوعات الخطابية الدينية آنذاك كانت تدول حول عظمة الإنسان وفناء الحياة وعدم الاطمئنان إليها في مقابل الثقة بالطبيعة والسكون إليها، وهي الموضوعات التي تناولها الشاعر الرومانتيكي فيما بعد ممثلة في ملاحظته ضعف الطبيعة البشرية وبرمه بالحياة واستشعار زوالها ولعله بالطبيعة وجلالها،ممّا أوحى للناقد بتطبيق نظرية التطور وأصل الأجناس لتفسير تولد الأنواع الأدبية وهي النظرية التي تذهب إلى القول بأن جنسا من الحيوانات قد تنتج عن جنس آخر كما تحولت الخطابة الدينية بموضوعاتها إلى الشعر الرومانتيكي في القرن التاسع عشر.[2]

وقد سعى الناقد الفرنسي برونتيار إلى تطبيق نظرية التطور على الأدب ركحا على ما قدّمه **سبنسر Herbert Spencer** في ميدان علمي الاجتماع والأخلاق لأنّه رأى أنّ الأدباء ليسوا إلاّ كائنات حية يمكن إخضاعها لقانون التطوّر العضوي وتطبيق هذا القانون من ثم على الفنون الجميلة والأدب تطبيقا يوضح كيفية نشأتها

[1] صالح هويدي:"النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أقريل، ليبيا،الطبعة-1)،سنة 1426هـ، ص72

[2] المرجع نفسه،ص73.

ونموّها عبر العصور وتطورها ثم تلاشيها متأثرة بظروف محيطها من وسط وعصر.[1]

3/ خصائص المنهج التاريخي:

لاشك بأن المناهج النقدية بما فيها المنهج التاريخي تكتسي أهمية بالغة في الدراسات الأدبية باعتبارها طرقا وأساليب يتناول الناقد في ضوئها الأعمال الإبداعية ويتحكم بفضلها في الدراسة، ويوجهها الوجهة التي تحقق غايته، وتقضي به إلى استخلاص النتائج بشكل جيد وبكيفية مقنعة وهذا ما جعل بعض النقاد يلحون على حتمية اختيار المنهج المناسب، قبل الشروع في العملية النقدية، لن يعصم الناقد من عشوائية مضرة، ويجعل دراسته دراسة موضوعية؛ فالمنهج التاريخي يعتمد على مبدأ الشرح والتفسير وقد شعر هذا الأخير بخصائص عديدة ومتنوعة نذكر منها:

1) الازدهار في أحضان البحوث الأكاديمية المتخصصة التي بالغت في ارتضائه منهجا واحدا.

2) الربط الآلي بين النص ومحيطه السياقي، واعتبر الأول وثيقة للثاني.

3) الاهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريقة الممتدة تاريخيا مع التركيز على أكثر النصوص تمثيلا للمرحلة التاريخية المدروسة .

4) المبالغة في التعميم والاستقراء الناقص.[2]

---

[1] صالح هويدي:"النقد الأدجبي الحديث قضاياه ومناهجه"،ص72.

[2] يوسف وغليسي،مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع،الجزائر،ط.1،سنة2007 ص20.

5)الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي وتحويل كثير من النصوص إلى وثائق يستعان بها عند الحاجة إلى تأكيد بعض الأفكار والحقائق التاريخية.

6) التركيز على المضمون وسياقاته الخارجية، مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنص.

7) التعامل مع النصوص المدروسة على أنها مخطوطات بحاجة إلى توثيق أو تحف مجهولة في متحف أثري لم شتاتها وتأكيدها بالوثائق والصور والفهارس.

هكذا تبدوا الأهمية الأساسية لهذا المنهج في أنعه يقدم جهودا مضنية في سبيل تقديم المادّة الأدبية الخام، أمّا دراسة هذه المادة في ذاتها فإنها أوسع من أن يستوعبها مثل هذا القالب المنهجي الضيق.[1]

ولهذا اختلف النقاد والدارسون في أهمية هذا المنهج في دراسة الأدب وتحليله وفهمه، ما بين متحمس له ومتحفظ عليه ورافض له، مثلما يحدث دوما مع بقية المناهج حيث أن الفئة الأولى يرون فيه منهجا ينتقل بهم من ميادين الدراسة النقدية القائمة على التفوهات اللفظية والأحكام البيانية غير المعللة إلى منهج محاكي لقوانين العلم وآليات ملاحظته وفحصه ودراسته؛ فينطلقون من القول بأن الخطاب الأدبي في جوهره هو بنية لغوية وعلاقات تشكيلية ورؤية مجازية لا يصح مقاومتها بما هو خارج عن سياقها وتقويمها بعيدا عن وسيلتها الأساسية بل

[1] يوسف وغليسي،مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية،ص21.

ينبغي البحث في واقع هذه البنية لاكتشاف أسرارها وفهم علاقاتها واسجلاء قوانينها.[1]

اعترف بعض النقاد بأن لهذا المنهج النقدي وظيفة مهمة في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها وقد تبقى دائما المقولة الشهيرة أن الأدب تصوير للواقع إذ أريد بها المعنى العام أولا وقصد بها الحديث من أنماط الأدب وأشكاله وتحولاته ثانيا. أما طبيعة هذا الأدب المجازية وأسراره الفنية وانزياحاته اللغوية ومغامراته التشكيلية فإن من العبث البحث عن تجلياتها ودراستها بهذه الأساليب الخارجية التي لا تصل بها اتصالا نوعيا وثيقا ولا تقوى على معالجتها معالجة إبداعية ناجعة.[2]

4/ تجليات المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث:

ساير النقد العربي الحديث اتجاه النقد التاريخي، فدعا النقاد نفر من النقاد إلى دراسة بعض مظاهر الأدب العربي ونصوصه وفق تلك المناهج[3]، ومن هؤلاء النقاد:عباس محمود العقاد، الذي ظهر تأثره بالمنهج التاريخي مع أنه صاحب منهج نفسي عندما كان يتعرض للأحداث التاريخية، وأثرها في الشخصيات في كتابه (شعراء مصر، وبيئاتهم في الجيل الماضي).[4]

أمّا **طه حسين:** فقد ظهرت آثار هذا المنهج في عدد من كتبه ودراساته ككتابه مع المتنبي (ذكرت أبي علاء)،(حديث الأربعاء) في الأدب الجاهلي وكان اعتماده للمنهج التاريخي متفاوتا من حيث الإفادة والتمثل، ففي كتابه (حديث الأربعاء)

---

[1] يوسف وغليسي،مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية،ص21.

[2] صالح هويدي،النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه،منشورات جامعة السابع من أفريل،ليبيا،ط1 سنة 1426،ص77.

[3] يوسف وغليسي،مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية،ص18.

[4] المرجع نفسه،ص18.

مثلا تناول الناقد ظاهرة شعر الغزل وفيه الصريح والعذري، ساعيا إلى دراسة البيئة الحجازية وبيئة البادية للكشف عن اثر الظروف السياسية والعوامل الاقتصادية في نشأة هذين الفنين في عصر بني أمية، وهذا ما توصل إليه طه حسين عقبا تتبعه لشخصية الشاعر (عمر بن أبي ربيعة) ونشأته وظروف أسرته وواقع حالة الترف التي وجد الشاعر نفسه بها.

وهكذا يتابع **طه حسين** المنهج التاريخي في النقد من خلال، اهتمامه بدراسة شخصية الشاعر والكشف عن ملامح بيئته وظروفها وما كان لها من أثر في إنتاج الظاهرة الأدبية.[1]

يعد محمد مندور **(1907-1965)** الذي يمكن عدة الجسر التاريخي المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي أول من أرسى معالم اللانسونية* في نقدنا العربي حيث أصدر كتابه "النقد المنهجي عند العرب" مذيلا لترجمته لمقالة **لانسون** الشهيرة "منهج البحث في الأدب"، وكان ذلك في حدود سنة **1946** دون أن ننسى **جورجي زيدان** في كتابه "تاريخ الآداب العربية" حيث تناول أثر العوامل السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية في الأدب، وقسم الأدب إلى عصور تبعا للعوالم السياسية، بالإضافة إلى **زكي مبارك** في كتابه "النثر الفني في القرن الرابع" وأحمد أمين في كتبه (فجر الإسلام)، (ضحى الإسلام)، (ظهر الإسلام).[2]

---

[1] المرجع نفسه،ص18.

* نسبة إلى لانسونLanson

[2] يوسف وغليسي،المرجع السابق،ص18.

5/ تجليات المنهج التاريخي في النقد العربي القديم:

لم يجد الدارس للنقد العربي القديم بعض الآراء التي تحيل الرؤى التاريخية والاحتكام للظروف التي لازمت نشوء النصوص الأدبية في فترة متباينة؛ "إذا لم يكن النقد العربي القديم يخلو من آراء صائبة مبكرة يمكن ردها إلى عموم الرؤية التاريخية التي تقيس الأدب في ضوء عوالمه التاريخية التي أثرت فيه وطبعته ولم تكن هذه الملامح منهجية وإنّما مبثوثة في كتب النقد القديمة"[1]، كما هو الحال في كتاب طبقات فحول الشعراء: "فقد ذهب ابن سلاّم إلى أنّ الشعر صناعة وثقافة وأنّ الذي يعرفه ويميز بينه وبين ما يحتويه من جودة وإحسان أو قبح واستهجان هم نقاده الخبيرون به القادرون على تقويمه وإصدار الحكم عليه.

تصدى ابن سلاّم في مقدمته إلى ضروب الانتحال وأسبابه فدوّن في ذلك آرائهم التي لم يطورها من جاء بعده من نقاد، كما يذكر في مقدمته أيضا ضياع الكثير من نصوص الشعر الجاهلي وذلك لعدم انتشار التدوين والكتابة"[2]، وقد أشار في هذا الكتاب إلى أهمية الزمان حيث صنف الشعراء إلى فئتين: شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام واعتمد أيضا على تصنيف موضعي ميّز فيه بين شعراء المدينة وشعراء القرى أمّا من ناحية الجنس فقد وضع الشعراء اليهود في طبقة خاصّة بهم، وردّ سبب قلة الشعر في بعض القرى إلى البيئة ففي الطائف وعمّان وقريش لم يكن عددا الشعراء كثيرا بسبب البيئة.

وقد وردت بعض ملامح المنهج التاريخي في كتاب "الشعر والشعراء" لابن

---

[1] صالح هويدي:النقد الأدبي الحديث،قضاياه ومناهجه،منشورات جامعة السابع من أفريل،ليبيا،الطبعة01 سنة 14216 ص75.

[2] ابن سلام الجمعي:طبقات الشعراء،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2001،ص12.

قتيبة الذي تناول فيه أخبار الشعراء وتراجمهم، ويتكون هذا الكتاب من قسمين رئيسين هما:

أ) القسم الأول: المقدمة وفيها يتحدّث عن الشعر وأغراضه وأضربه وقواعد نقده وقد أطال في هذه المقدمة "حدثنا ابن قتيبة في مقدمة" الشعر والشعراء" عن موضوعة والغرض من تأليفه فيقول "هذا الكتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان لا يعرف باللقب أو الكتيبة منهم، وعم يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء من الغلط والخطأ أو معانيهم، وما يسبق إليه المتقدمون فأخذ عنهم المتأخرون، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدّمته في هذا الجزء الأوّل".[1]

ب) القسم الثاني: تحدث فيه عن تراجم الشعراء، وقد ترجم لعدد من الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى العصر العبّاسي الأوّل ونجد عند ابن قتيبة "التوفيق والتسوية صفتان تمثلان جهده في مختلف الميادين ومنها النقد الأدبي ذلك الميدان الأدبي الذي لم يتضح في مؤلفاته كما اتضح في مقدمته كتاب "الشعر والشعراء" فهي بيان لموقفه النقدي عامّة ودستور مستقل بمواده وأحكامه".[2] هذا إلى جانب أبي الفرج الأصفهاني الذي دوّن في كتابه "الأغاني" أخبار الشعراء واغتنى بدراسة الظروف المحيطة بهم وأثرها في شعرهم.[3]

---

[1] عبد العزيز عتيق:"تاريخ النقد الأدبي عند العرب"،دار النهضة العربية،بيروت،ص376.

[2] إحسان عباس:"تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثامن هجري،بيروت،لبنان،دار رالثقافة طبعة 01، 1971 ص92-93.

[3] يوسف وغليسي:مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،جسور للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة (1) سنة 2007،ص17.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تمهيد:

لفت أبو علاء انتباه معاصريه ومن بعده بمؤلفاته الكثيرة ونمط حياته الفريدة وصار موضع اهتمام المؤرخين والنقاد والدارسين وأصبحت مؤلفاته محل دراسة ونقد خصّت أوساط ثقافية متعددة لا تقتصر على الشعر فحسب؛ بل تشمل عدّة مجالات منها الفكر والفلسفة والزهد.

وقد كان الدكتور **طه حسين** أحد الذين نوّهوا إلى جوانب المعرّي الثقافية المتعددة ففتح بذلك بابا واسعا أمام الباحثين للبحث في تلك الجوانب، مما أدى إلى تنوع الدراسات واختلاف الآراء حوله، وقد كان أبو العلاء من أكثر الشعراء إثارة للجدل واستقطابا لاهتمام الباحثين قديما وحديثا من خلال ما توحي به إبداعاته من مضامين جديدة غير مطروقة قبله، ولعل هذا ما يجبل النقاد على دراسة إنتاجه دراسة تكاملية.

1) اسمه-كنيته-لقبه:

اسمه: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء التنوخي[1]المعروف بالمعري نسبة إلى بلده معرّة النعمان، وأمّا اسمه هذا فقد كرههلأنّه رأى أن من النفاق والكذب اشتقاق اسمه من الحمد إذ ينبغي أن يشتق من الذم من مثل قوله:

وأحمدُ سَمَّانِي كَبَيْرِي، وَقَلَمَا فَعَلْتُ سوى ما أستحقّ به الذّما[2]

وأمّا كنيته فقد كنيّ بأبي العلاء لأنّه من عادة الآباء في ذلك العصر أن يكنّوا أبنائهم وقت تسميتهم لكن أبا العلاء كره هذه الكنية أيضا، ورأى أن من الظلم أن

---

[1] القفطي،أبو الحسن:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء،لإشراف الدكتور طه حسين-القاهرة-دار الكتب المصرية،1944م،ص27.

[2] المعرّي-أبو العلاء:مالايلزم،بيروت،دار صادر ودار بيروت،ط2، 1961،ص416.

يضاف إلى التصعيد والعلوّ وإنّما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط وقال في ذلك:

دُعَيْتُ أَبَا العَلاَءِ، وَذَلِكَ مُبَيَنٌ وَلَكِنَّ الصَّحِيحُ أَبُو النُزُوْلِ[1]

وأمّا اللّقب الذي اختاره لنفسه وأحبه كثيرا فهو "رهين المحسين"، وهو اللقب الذي احتجب فيه، والذي يصف ذهاب بصره الذي منعه من مشاهدة الأشياء.[2]

ولم يكتف–رحمه الله–بهذين السجنين فقد أضاف إليهما سجنا ثالثا، وخاصة بعد نضوج أفكاره الفلسفية، وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث على نحو ما جاء في شعره الذي يقول فيه:

أَرَانِي فِي الثَّلاَثَةِ مِنْ سُجُونِي فَلاَ تَسْأَلِ عَنِ الخَيْرِ النَبِيثِ

لِفَقْدِي نَاظِرِي وَلُزُومِ بَيْتِي وَكَوْنِ النَّفسِ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ[3]

2) مولده ونشأته:

مولده: ولد أبو العلاء يوم الجمعة لثلاثين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة[4] وقد ولد أحمد مبصرا كما يولد سائر البشر، ولكنّه ابتلى بصدمة فادحة قبل أن تستقيم خطواته الصغيرة على درب الحياة،"إذ اعتل في سنة الرابعة بعلة الجدري"[5]،فما قام منها إلا بعد أن شوهت وجهه بندوب وحفر ما يرى منها، ذهبت بنور بصره، فأسدلت بينه وبين الدنيا حجابا كثيفا لا أمل في خلعه حتى رمق ففيلا حيالته، ونتيجة هذه العلّة التي أصابته، لم يعرف من الألوان إلا اللون

---

[1] المرجع نفسه،ط2،ص348.

[2] ابن الجوزي،بسط:ضمن تعريف القدماء بابي العلاء،مصر سابق،ص143.

[3] المعرّي أبو العلاء:لزوم ملايلزم،دار صادر ودار بيروت،ط1، ص244.

[4] القفطي أبو الحسن"ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعّري،مصدر سابق،ص29.

[5] الحموي،ياقوت:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص67.

الأحمر،لأنّه ليس أحمر وقت اعتلاله له مرض الجدري، إذ كان يقول :"لا أعرف من الألوان إلا الأحمر،لأنّي ألبست في مرضي الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر فأنا لا أعقل غير ذلك؛ وكل ما أذكره من الألوان في شعري ونثري، إنما هو تقليد الغير واستعارة منه".[1]

ولكننا مع ذلك نراه حامدا ربه، جامعا روح الطرفة والظرفة في لسانه حين قال:"أنا أحمد الله على العمى، كما بحمده غيري على البصر، وقد صنع لبي وأحسن بي، إذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء"[2]، ويعني بذلك أن محل العمر خير بالنسبة له كما في الإبصار خير للمبصرين.

نشأته:

نشأ أبو العلاء في بيت يغير من بيوت معرّة النعمان، هذا البيت الذي عرف بالعلم والفضل والأدب، فجدّه سليمان بن أحمد **قاضي المعرّة** كان أديبا شاعرا،وكذلك كمان أبوه عبد الله وعمّه أبوة بكر بن محمد، وأخواه أبو المجد محمد، وأبو الهيثم عبد الواحد[3]،كانّوا كلهم أدباء وشعراء، تولوّا أمور القضاء في مدينتهم، واحتلوّا مقام الإجلال والتعظيم بين مواطنيهم[4]،وكذلك عرف أخواله من "بني سبيكة" بالعلم والدّين أيضا، وهم مشهورون في حلب.[5]

تتلمذ أبو العلاء في بداية عمره على يد أبيه الذي قاده إلى عالم يمنحه نور البصيرة ويكشف له عن آفاق الوجود المغلق أمام بصره، فقرأ القرآن على أئمة من

---

[1]نقلا عن القفطي،أبو الحسن:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص30.

[2]نقلا عن ابن العديم،زبدة الحلب في تاريخ حلب،تحقيق سامي الدهان،بيروت،مط الكاثوليكية،1951، ص558.

[3]ابن العديم:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،مصدر سابق،ص493.

[4]الحموي ياقوت:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص68.

[5]ابن العديم:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،مصدر سابق،ص511.

شيوخ القراءات، وسمع الحديث من أبيه وجدّه وجدّته، وجماعته من محدّثي بلده في زمانه، وتلقى العربية على يد أبيه، وعلى أيدي جماعة من أصحاب "**ابن خالوية**"،فظهر من تفوق نجاعته وفطنته ما جعل والده يمضي به إلى حلب حيث أخواله "**بنو سبيكة**"،إذ تلقّى النّحو على إمام العربية في حلب محمد بن عبد الله بن سعد النحوي[1]،ولعلّ هذا ما يدلّ على تنوّع الرصيد الثقافي الذي يظهر في مؤلفاته.

شخصيته: كان أبو العلاء من نوادر وأعاجيب الزمن، لما متنح من ذكاء متوقد، وحافظة عجيبة، وروح ساخرة، وثقافة واسعة، وشعور ملتهب، وعقل نقاد يغوص في أعماق الأعماق[2]

فكفّ البصر لم يمتعه بأن يهب نفسه للعلم، ورغبته الطامحة في الإنطلاق إلى آفاق أوسع،جعلته ذا شخصية فذة طموحة قدرة على خلق المعجزات، ممالا جعله يرحل إلى بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة[3]، طالبا للعلم وفنونه، ولكنّ مقامه في بغداد لم يدم طويلا، إذ رجع إلى مسقط رأسه **(المعرّة)**، وقد غزا الألم والطبع السوداوي نفسيته وقلبه، إذ أصبح لا يرى بعدها في الوجود إلاّ الشر والسوء، والتشاؤم والحسرة،والألم والحزن لما أصاب بلاده وأهلها من انحراف وفساد، ولعلّ ما قاله لتلميذه التميمي عندما جاء طالبا منه المجيء معه إلى مصر خير دليل على ذلك:

---

[1]ابن الوردي،عمر:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص206.

[2]حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب العربي،بيروت،دار الجليل،ص842.

[3]القفطي،أبو الحسن:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء،مصدر سابق،ص28.

رغبتي به يا إسماعيل التميمي، وزيّنت لي لقاءه لو أني لم أكن في قيدني، وقيد واحد منها كاف:العمى والطبع، العمى يلا تميمي مصيبة، إذا رافقته طبع سوداوي كطبعي ما انا أول أعمى، ولكنّي أول رجل من العميان في هذه الغريزة، آنف أن أقاد كالكبش، ولا أغتفر لنفسي ذلة وتقصيرا.[1]

وإذا دلّ قوله على شيء°فإنّما يدل على أنه ذو طبع سوداوي، شديد التشاؤم،يرفض الإهانة والذل لأنّه عنيد جبار مكابر، إذا بلغت مكايرته أرقى مدى إذ رئي في شبابه الباكر "يلعب النرد والشطرنج، ويأخذ في فنون اللهو والجدّ كما يفعل أقرانه المبصرون".[2]

3/ آثاره الأدبية:

خلّف أبو العلاء تراثا أدبيا ضخما زخيرا بالآراء والأفكار التي تنتمي لمختلف العلوم وقد أسهم في رفع قيمة مكتبة التراث الأدبي العربي لما له من مكانة وحظوة في نفوس القرّاء على اختلاف أذواقهم وإيديولوجياتهم وأفكارهم أو معتقداتهم،وجاءت مؤلفاته لتعلن فتحا جديدا في عالم التأليف حسب ما حوته من طرائق منهجية جديدة وأساليب فخمة جمّة وآراء متنوعة عدّة،أعطت ما أعطته من مكانة للمعريّ وهي تصبّ في مجرى الضروب المختلفة وقد قال المعري في هذا الصدد "**لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت أن أتوفر على تبيح الله وتحميده إلاّ أن أضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء تولي نسخها الشيخ أبو**

---

[1] نقلا عن ابن خلكان،ابو العباس:وفيات الأعيان وابناء الزمان،تحقيق،إحسان عباس،بيروت،دار الثقافة،ط1،ص127-128.

[2] الثعالبي،أبو منصور :ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء،مصدر سابق،ص04.

الحسن وهي على ضروب مختلفة،فمنها ما هو في الزهد والعظات وتمجيد الله سبحانه من المنظوم والمنثور" تتبع الذهبي وغيره آثار أبي العلاء وما قدّمه من خلال عمره الطويل وإبّان عزلته، وقد ذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "الفصول والغايات"، وهو موضوع على حروف الهجم، ومقداره مائة كراسة، وكتاب "إقليد الغايات" في اللغة، ومقداره عشر كراريس،وكتاب "خطبة الفصيح" نحو خمسة عشر كراسة، وكتاب "لزوم ما لا سلزم" نحو مائة وعشرين كراسة وكان آخرها، وكتاب "زجر النابح" نحو أربعين كراسة، وكتاب "راحة اللّزوم" في شرح كتاب لزوم مالايلزم، نحو مائة كراسة، وكتاب "سقط الزند" وفيه أكثر من ثلاثة آلاف بيت، نظم في أول العمر، وكتاب "رسالة الغفران" و"رسالة الصاهل والشاهج" يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ومقداره أربعون كراسة، وكتاب فن "الزهد" يعرف بكتاب "استغفر واستغفري" منظوم فيه نحو عشرة آلاف بيت، وكتاب "الأمالي" نحو مائة كراسة[1]،ويقول القفطي في آثاره: "وإن أكثر كتب أبي العلاء هذه عدمت،وإنّما يوجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفّار عليها، وقتل من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم"[2]،وقد ذكر من مؤرخيه أسماء ثلاثة وستين كتابا فقط[3]، أما المطبوع المتداول فلا يتجاوز ثمانية كتب ليس بعضها تاما كاللزوميات والفصول والغايات.

---

[1]الذهبي،أبو عبد الله وغيره:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص201-204.

[2]القفطي:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،مصدر سابق،ص49.

[3]ابن العديم،ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،مصدر سابق،ص527.

4/ وفاته:

لم يبلغ المعريّ عمره الطويل إلاّ وأعطى تلك السنين حقّها من التضحية والإبداع، التضحية جاءت عبر فقدان بصره ولزوم بيته وتجاوزه عن التشرّب بالملذات والانغماس فيهال، فهو لم يأكل لحم الحيوان، ولم يلبس الثياب الغالية، ولم يتزوج وتعرض إلى ما تعرّض له من نكبات، أمّا الإبداع فقد جاء عبر تصنيفاته الجمّة التي حملت بين طياتها فكرا مستنيرا ولغة متمكنة.انفضت تلك الأعوام وأصيب بمرض شلّ حاله: "ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمّه"[1]، فقال لهم في اليوم الثالث: **أكتبوا عنّي، فتناولوا لدّويّ والأقلام،فأملي عليهم غير الصواب** فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزائكم في الشيخ؛ فإنّه ميّت !فمات ثاني يوم".[2]

مات المعري يوم الجمعة ربيع الأول سنة **449هـ** ودفن في المعرّة في ساحة دار صغيرة وأوصى أن يكتب على قبره:

هذا جَنَاهُ أبي عليَّ وما جنيتُ على أحدْ[3]

وقام بتشيع جثمانه إلى مثواه الأخير أعداد لا تحصى من الجماهير من الجماهير، إذ أضجعوه في لحده "معرّة النعمان"، ووقف على قبره ثمانون شاعرا يرثونه وقد كان بعضهم عدوا له في حياته، ولمدّة سبعة أيّام، أقاموا مقرئو المعرّة على قبره يتلون القرآن حتى أتموا مائة ختمة، ثم انفض المأتم[4]

---

[1]ابن خلكان،أبو العباس:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الرزمان،تحقيق-إحسان أبو عباس-دار الثقافة،بيروت،ط(1) 1971،ص115.

[2]نقلا عن ابن خلكان،أبو العباس:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص184.

[3]نقلا عن ابن الجوزي:بسط:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري،ص156.

[4]الذهبي،أبو عبد الله:ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي،ص200.

ومما قيل في حفل وداعه ما رثه به تلميذه علي بن همّام:

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرْقِ الدّماءَ زَهَادَةً فلقد أرقتَ اليومَ من عيني دَمَا

سيّرت ذكركَ في البلادِ كأنّه مِسْكٌ فَسامِعَهُ يُضَمِّخُ أو فَمَا

وأرى الجيحَ إذَا أَرَادُوا ليلةً ذكراكَ أوجَبَ فِديةً مَنْ أحْزمَا[1]

ولم يكن مثل هذا الاحتفال غريبا على الذي لقيت بأعجوبة الزمان، ونادرة زمانه، فكأنّة الموت استجاب له بعد تأخر، طالما ناجاه وفكر فيه مناديا إيّاه كقوله:

فَيَا مَوْتُ، إنَّ الحيَاةَ ذَمِيْمَةٌ وَيَا نَفْسُ جدِّي، إنَّ دهركِ هَازِلُ[2]

وهكذا مات شاعر المعرّة، بعد قضاء حياته كلّها مقطوع النسل، مجتث الفرع، ثابت النفس، راجع الحلم، مصيب الفكر، قوي العقل، صادق الذوق، رفيع المستوى.[3]

5/ مكانة النثر في العصر العباسي:

تطور النثر في العصر العباسي؛ إذ تحولت إليه الثقافات الأجنبية المختلفة من يونانية وفارسية وهندية وكل ثقافات الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية واكتسب كثيرا من المرونة واتسعت موضوعاته، وأصبح في الإمكان التعبير عن مختلف أوجه النشاط الإنساني، ومختلف مظاهر الحياة الجديدة، فقد استطاع الكاتب أن يعبر عما يريد دون أن يستعصي عليه معنى من المعاني، وقد استجاب النثر العربي لحاجت الواقع الاجتماعية والسياسية والعقلية والدينية فظهر

---

[1] نقلا عن العباسي:ضمن تعريف القدماء،بأبي العلاء المعرّي،ص338.

[2] المعرّي،أبو العلاء،شرح سقط الزند،بيروت،مكتبة،الحياة،1987،ص58.

[3] حسين:طه أبو العلاء المعرّي،بيروت،دار الكتاب العربي،ط1، 1974م.

النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي والنثر الأدبي الخالص، كما تطورت أنواع النثر في هذا العصر نلحظ أيضا تطورا في أسلوب الكتاب وثقافتهم؛ فقد استحدثوا أساليب جديدة تحتفظ للغة بكل مقوماتها من وضوح للألفاظ والمعاني، كما نلحظ انكبابهم على الثقافات الفارسية واليونانية، وتوسعهم في الأخذ من الترجمات التي وصلت إلى أيديهم وتجاوزهم الحد في الأخذ من ثقافات اليونان والتأثر بمصطلحات الفلاسفة والمناطقة، "وكان ذلك إيذانا بتعدد شعب النثر العربي وفروعه، فقد أصبح ثمة وجود لنثر العلمي ونثر الفلسفي وأصبح ثمة أيضا نثر التاريخي على شاكلة ما كان عند الأمم القديمة وحتى النثر الادبي الخالص أخذ يتأثر بملكات اللغة الأجنبية وخاصّة اللغة الفارسية على نحو ما هو معروف عن ابن المقفع وترجمته عن هذه اللغة "لقصص كليلة ودمنة" ونقله الكثير من آداب الفرس الاجتماعية والأخلاقية ونظمهم في السياسة والحكم".[1]

لقد كانت الترجمة إحدى ضرورات الحركة العلمية التي نشطت بفضل فئة نابعة من أعاجم يتألف معظمها من السريان والفرس، وبذلك انصبت في بحيرة الثقافة العربية جداول شتى مختلفة المذاق من تلك الثقافات الوافدة.

وعادت بحركة النقل بالخير على لغة العرب الأصلية وأدت إلى ازدهار أنماط كثيرة من النثر كما ذكرنا سابقا، ومن بين الأغراض التي تم تطويرها في هذا العصر:

[1] شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، منشأة المعارف،الاسكندرية،مصر(د-ط)(د.س)،ص442.

5.1. الكتابة الفنية:

لا ريب أن الكتابة عنوان من عناوين الرقي والتقدم عند كل أمّة، ومظهر من مظاهر حضارتها، ولم ترتقي أي أمة من الأمم في تاريخ نهضتها إلاّ وكانت الكتابة هي الدعامة الأولى التي تركز عليها، وإذا تابعنا التاريخ السياسي للأمة العربي نجد أنها اعتمدت الكتابة في طورها الجديد من التقدّم لحاجتها الماسة إلى قيد الأشياء وحصر الأعمال وتوزيع الجهود وتسجيل الوارد والصادر في دواوينها.

وقد حلت الكتابة مع موالي الأيّام محل الخطابة، فعندما قامت الدولة العباسية كانت الكتابة الفنية قد أصبحت قواعد وأصول على يد "عبد الحميد كاتب"[1] والعصر العباسي هو العصر الذهبي للكتابة الفنية فقد نبغ فيه كبار الكتاب الذين جدّدوا في أساليب النثر ومعانيه ففتحوا آفاقا للكتابة، وقد ارتفع شأن الكاتب في ذلك العصر فأصبح لكل خليفة أو زير كاتب أو أكثر وانشأت لذلك الدواوين المتعددة؛ ""إذ بلغة الكتابة الفنية آنذاك من الرقي والسمو مالم تبلغه في أي عصر من العصور، وذلك لظهور آثار الثقافات الأدبية والفكرية، ولكثرة محفوظات الأدباء من آداب العرب والآداب المترجمة، "ويروى أن رجلا ال ابن المقفع: ما الذي مكنك من البلاغة؟قال: حفظ كلام الأصلع، يعني به الإمام "علي بن أبي طالب" كرم الله وجهه وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب وللكتّاب باعثا على النهوض بالكتابة، داعيا إلى ارتفاع شأنها، وسمو منزلتها، ثم كان التنافس

[1] عبد الحميد الكاتب (نبذة)

القويّ بين الأدباء وتسابقهم إلى خدمة الخلفاء والرؤساء حافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها".[1]

عبد الحميد كاتب*: عبد الحميد بن يحي بن سعيد العامري، كان جدّه سعيد مولى للعلاء بن وهب العامري القريشي، فنسب إلى بني عامر، وهو فارسي الأصل من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة نشأ في الأنبار أو الشام، كان من أشهر الكتاب في أواخر عصر الدولة الأموية، وتوفي سنة 132هـ

5.2. المناظرات:

تعد المناظرة من فنون النثر المتطورة عن الفنون النثرية الأخرى، عرفت في العصر الجاهلي وقد بلغت آنذاك مبلغا كبيرا من الازدهار، وجدير بهذا الاتساع والتنوع أن يتيح خلافا في الآراء واختلافا في الاتجاهات فكانت هناك الفرق التي تتناظر فيما بينها أو تناظر إحداهما خصوم الإسلام من أهل الكتاب وأصحاب العقائد الفلسفية وأهل الزندقة وأشهر هذه الفرق المعتزلة.

تعد "المناظرات من أهم الفنون النثرية في العصر الذهبي ومن الفنون الجديدة التي طرأت على النثر العربي الذي ازدهر في القرن الثاني للهجرة، ويعزو الكثير من مؤرخي الأدب العربي نمو المناظرات وازدهار إلى طبقة المتكلمين، وخاصّة المعتزلة لأنّهم اتخذوا الجدل والمناظرة من الوسائل التي اعتمدوا عليها في نشر مبادئهم ، والوصول إلى غاياتهم حتى ارتقت المناظرات إلى حد بعيد وانتشرت في

---

[1] د:أمين أبو الليل،محمد ربيع:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، الوراق للنشر والتوزيع،2009،ص219.

* الجاحظ:البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر،بيروت.

مجالس الخلفاء والأمراء المساجد والمنتديات والأسواق، فبهرت الناس واجتذبت منهم خلق كثيرا".[1]

5.3. الرسائل الديوانية:

هي فن من فنون النثرية التي استحدثت في العصر العباسي وسميت الديوانية لأنّها ظهرت في دواوين الخلفاء العباسيين، وهي أنواع"منها رسائل الإنذار التي كان يرسلها الخليفة إلى المخالفين من قادة الجنود، ومنها رسائل الأمان التي كان يكتبها لمن أراد تأمينهم من المخالفين، وسائل الإصلاح، وسائل المبايعات التي يكتبها خلفاء بني العباس بالبيعة لأولادهم من بعدهم، والعهود التي كان يكتبها الخلفاء لمن ينوب عنهم في ولاية الأقاليم وقد كان أكثر هذه الأنواع من الرسائل الديوانية معروفا في الديوان الفارسي في عصر آل ساسان، وقد ترجمت بعض رسائل الفرس إلى العربية ومنها عهد دار دشير".[2]

يندرج موضع الرسائل الديوانية ضمن قسم تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود ومن الفتوح والجهاد ومراسم الحج والأعياد وأخبار الولايات وأحوالها من المطر والخصب والجدب وعهود الخلفاء ووصاياهم للوزراء والحكام،تتناول أيضا بعض الأغراض النى كان يتناولها الشعر من تهنئات وتعزيات كما يظهر في الرسائل الإخوانية التي تصوّر عواطف الأفراد.

---

[1] أمين أبو الليل،محمد ربيع:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول،المرجع السابق،ص181.

[2] حامد حنفي داوود:تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر،ط2،1993،ص35.

5.4. الخطب والمواعظ الدينية:

كانت الخطابة ولازالت سبيلا لكل من دعوة من الدعوات أو توجيه أو إصلاح أو تأثير وإقتناع، وقد شهد فن الخطابة الدينية رواجا وازدهارا في العصر العباسي بل إن بعض العوامل التي جدت في هذا العصر "واتبعت من نطاقها، وزادت في نشاط رجالها ودفعتهم إلى الإخلاص والتفاني في الدّعوة إلى التزام الدّين والخلق والتمّسك بأسس الإسلام ومبادئه الصافية، والتجافي عن متع الحياة الزائلة، والتهالك في طلبها، والترغيب فيما عند الله الترهيب من الموت وما بعد الموت للحد من الزندقة ووقف انتشار الانحلال الخلقي والمجون ممّا استلزم "رد فعل من جانب رجال الدّين في قوة هذه الحركات وجدّتها وعنفها"[1]،مع ضرورة إلتزام الخطيب بالطاعة والخضوع للسلطة، وقد إشتهر بهذه الخطب والمواعظ عدد كثير من الخطباء والوعاظ ورجال المعتزلة بجانب بعض الخلفاء الذين شاركوا في الخطابة الدينية، وعرفوا بالفصاحة وقوّة البيان.

وما يمكن قوله عن النثر في العهد العباسي أنّه تميّز بالاهتمام باللّغة والعناية بالمعاني لأنّ صاحبه "يعقد من المعاني ويزاوجها فيتداخل الحرف بالحرف واللفظة باللفظة ويطهر معنا ساطعا بينما يكون هناك معنا آخر مستورا".[2]

---

[1] إبراهيم أبو الخشب:تاريخ الأدب العباسي الأول،الهيئة المصرية العامّة للكتاب،فروع الإسكندرية،ص170-171.

[2] إيليا الحاوي:فن الوصف وتطوّر الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ص143.

6/النقد الأدبي عند أبي العلاء المعري:

قبل الشروع بالبحث والدراسة عن النقد الأدبي لدى المعري، لابد لنا من إيضاح دلالة النقد الأدبي أولا، فالنقد الأدبي يعني استعراض القطع الأدبية المعرفية محاسنها ومساوئها، ثم قصرت فيها بعد ذلك على العيب لما كان من مستلزمات فحص الصفات ونقدها عيب بعضها[1]

والنقد في اصطلاح الفنيين هو تقدير القطعة الفنية، ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء كانت القطعة أدبا أو تصويرا أو حفرا أو إيقاعا.[2]

والناقد الفذ هو الذي يستطيع تمييز الجيد والرديء من القول ويعتمد في هذا التمييز على الخبرة، والخبرة متعددة الجوانب، منها ما هو طبيعة وال في الناقد وهي موهبة فيه يوهب كما يوهب الشاعر ملكة العشر، ومنها ما هو مكتسبا بالدربة والممارسة، والصلة الطويلة بالصناعة يتولاها الناقد، فيلمّ بأصولها وخفاياها.[3]

ولقد رأى أبي رشيق أن الناقد الشاعر أبصر من الناقد غير الشاعر ويتضح ذلك جليا في قوله: "وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو غريب ومثل وخير".[4]

---

[1] أمين أحمد:النقد الأدبي،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط5، 1983،ص1.

[2] المرجع نفسه،ص1.

[3] سلام محمد زغلول:تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع هجري،دار المعارف،القاهرة،1964م،ص10.

[4] المرجع نفسه:نقلا عن (ابن رشيق75/1) في كتابه العمدة

رأى الدكتور محمد النويهي أن السرّ في نجاح الناقد الأدبي يعود إلى عدة مصادر من أهمها "دراسة الأدب الغربي أحسن دراسة ، والإلمام العميق بالفلسفة،وعلم الاجتماع، وعلم عقائد الإنسان، ودراسة الأديان المقارنة[1]

ويصنف الدكتور سلام عاملا آخر وهو ملكة: الذوق التي يرى فيها أنها ملكة لا غنى لأي ناقد عنها، لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال، والقبح فيما يعرض له من النصوص عند سماعها أو قراءتها.[2]

أما الفرض من دراسة النقد الأدبي إجمالية في أمرين اثنين أولهما: معرفة القواعد التي استطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة فإن كانت جيدة أو ردئية فما درجتها من الحسن أو القبح وثانيهما معرفة الوسائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض علينا من الآثار الأدبية.[3]

كان لأبي العلاء قدرات متميزة وكان صاحب نظرية نقدية ساعده على ذوقه المرهف وخبراته الواسعة التي أهلته إلى أخذ دوره المميز بين نقاد عصره وأبناء زمانه.

فهو أديب من حيث دوره الاجتماعي الفعال في النقد والإصلاح والتوجيه وأديب فيلا الإفصاح عن ذلك الدور بلغة أدبية قلّ من يحسن مثلها وهو أديب أيضا في سلوكه المتميز وأخلاقه السامية.[4]

---

[1] محمد النويهي:ثقافة النقد الأدبي،مكتبة الخانجي،بيروت،ط2، 1969،ص37.

[2] سلام محمد زغلول:تاريخ النقد العربي،مرجع سابقنص12.

[3] أمين أحمد:النقد الأدبي،مرجع سابق،ص1.

[4] مسعود ميخائيل:{باء وفلاسفة،دار العلم للملايين،بيروت،ط1، 1993،ص2010.

فالمعري أعجوبة زمانه في العربية وقواعدها، وفي ذلك يقول غبن النديم "نقل عن ابن السّجري عن أبي زكريا التيريزي أنه قال: ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري[1] وفي ترجمته للمعري يقول القياسي المكي عنه، هو أحمد بن فلان اللغوي الشاعر الماهر، أحد فحول الفضلاء العالمين، الصلحاء الزاهدين، سار فضله في البراري والبحور أقرّ له بالبلاغة والأدب كلّ بليغ وأديب.[2]

والدليل على ذلك، أنه كان يحتكم إلى بعض العلوم كاللغة والنحو والعروض لوضع المسألة في موضوعها الحقيقي بغية الوصول إلى حلّ نهائي لها، وقد وجدت هذه الخصال في معظم مواقفه النقدية من الشعر سواء أكان هذا النقد لغويا أم عروضيا أم تصحيحا لرواية معينة[3] على خلاف من رآه في بعض أدباء عصره، الذين كانت كتاباتهم الأدبية لغايات نجملها فيما يلي:

أ- **التعقيد وبيان القوة اللغوية أو النحوية:**الأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من علماء

تناول المعري النحاة من أمثال الخليل والأخفش والكسائي بنقده اللاذع، إذ وجدهو يرعّرون النحو ويعتدون مسلكه حتى إنهم أحالوه إلى طلاسم وألغاز حتى تفرّعوا نتيجة ذلك إلى شيع وأحزاب تتناحر وتتاصارع وقضوا الوقت كله من دون فائدة أو جدوى، وبات نحوهم ولغتهم هملا لم ينتفع بهما احد، ولم يبكهم علمهم الذي صيغوا العمر فيه على نحو ما كان يقول فيهم:

---

[1] ابن العديم:ضمن تعريف القدماء أبي العلاء،ص569.

[2] المكّي العبّاس:ضمن تعريف القدماء بابي العلاء،ص351.

[3] خالص وليد محمد:أبو العلاء المعرّي...ناقدا،مكتبة المكتبة،أبو ظبي،1986،ص54.

تولَّى سيبويه، وجاشَ سَيبا من الأيام،فاختلَّ الخَليلُ
ويونُسُ أَوْحَشَتْ منهُ المغاني وغير مُصابهِ النَّبَأُ الجليلُ
أَتَت عِلَلُ المتُونِ،فما بكاهُمْ من اللَّفظِ، الصَّحيح ولا العليلُ[1]

وفي رسالة الغفران ينتقد أبو العلاء النحاة واللغويون، مظهرا في تحقر طباعهم وافتراء علومهم وتصحيفهم أقوال باطلة حيث يقول:فهم كما جاء في الكتاب العزيز<< ونزعنا ما في صدورهم من علّ إخوانا على سرير متقابلين، لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين>>

ب- التكسيب والوصول إلى عتبات أصحاب السلطة والجاه:

يقول أبو العلاء في خطبة الفصيح:"الشعر إذا جعل مكسبا، لم يترك للشاعر حسبا، وإن كان لغير مكسبا، حسن، في الصفات والنسب مالم تست المحصّنة وتقدّ للعار المنة فاتق ربك وإذا رأيت الشاعر فلا تقل (والشعراء يتبعهم الغارون) فإن الآية وصلت باستثناء وجني السيئة شرّ الجني...لا تجهلوا فضيلة الشعر، فإنه يذكر الناس، ويحيّل عزمة الفانك ويعطف مودة الكاشح ويشجع الجبان[2]، وهذا وهذا يعني أن الأصل في الشعر من وجهة نظره تذكير الناس وإحلال عزمة الفانك وعطف مودة الكاشح وتشجيع الجبان وأمّا "التكّبيب" فهو تدن بالفكر والفن والروح الإنسانية الرفيعة التي كرمها الله لتبدع.[3]

وما كان موقف المعري السلبي اتجاههم إلاّ أنهم دعاة إلى الكذب، بأحوالهم سرات للأموال والأقوال وأنهم شرّ فئة من الناس لأنهم يبذلون ماء وجوههم،

---

[1]المعرّي أبو العلاء:لزوم مالايلزم 272/2 سيبويه والخليل يونس:من العربي في أواخر القرن الثاني.

[2]خرباني جعفر:أبو العلاء المعرّي رهين المحسنين،ص47 وما بعدها،نقلا عن خطبة الفصيح لأبي العلاء.

[3]سلام محمد زغلول:الأدب في العصر الجاهلي (2) الشعر والشعراء،الإسكندرية،منشأة المعارف،ص269.

ويمتهنون قرائحهم بامتداح من لا يستحق المديح، لينالوا خسيسا من المال، ولو ترفعوا عن التكسب بأشعارهم لصانوا كرامة الشعر وكرامة أنفسهم، على نحو ما ترى في قوله:

بني الآداب أعرفكم،قديمًا زخارف مثل زمزمة الذُباب

وما شعراؤكم إلا ذئابُ تلصَّص في المدائح والسِّياب

أصَرُّ لِمنْ من الأَعادي وأسرق، للمقال من الذّباب[1]

وسواء عنده المديح والهجاء حين يسبغ الشاعر صفات ليست في الممدوح من مثل قوله:

إذا أثنى عليَّ المرء يومًا بخيرٍ ليس فيَّ، فذلك هاجِ[2]

أما إذا أسبغ الشاعر على ممدوحه من مستحيل الصفات البشري، فإن الهجاء خير منه،يقول:

إِذَا كان التَّعارضُ من محَالٍ فَأحسنُ من تمادُحنا النَّهاجي[3]

أما هو فقد آثر الصدق، فربط الأدب بالأخلاق لأن الشعر عنده منزّه عن أسباب التكسب الدنيوية الزائلة ولذلك لم يدنّس نفسه بالاستجداء يوما للحصول على المال من أصحاب العروش والجاه حيث يقول:

أُنيّتكُمْ أَنِّي على العهدِ سالمٌ وَوَجْهِي لمَّا يُبْتَذَلُ بِسُؤَالِ[4]

---

[1]المعرّي أبو العلاء:ازوم مالايلزم 165/1،الرباب:فأرة كبيرة صماء يضرب بها المثل في السرقة.

[2]المرجع نفسه،ص279.

[3]المعرّي أبو العلاء:لزوم مالايلزم،المرجع نفسه،ص279.

[4]المعرذي أبو العلاء،شرح ديوان سقط الزند،ص145.

إناء وحده الذي يقول كلمة الحق في عصر أخرست فيه السيوف والضمائر، وقد أبى عليه ضميره أن يكون في أمة شيطانا أخرس، يقول:

فَمَا لِي لاَ أقولُ، ولي لسَانُ وقد نَطَق الزمان بلا لسانِ

وبيعتْ بالفلوس لكُلِّ خَزْيٍ وجُوهٌ كالدَنانيرِ الحِسانِ[1]

وأمّا الأدباء فقد،فقد كانت غاية البعض من أدبهم، الحصول على الثروة والشهرة ذائعة الصيت وفي ذلك يوجّه المعري لنقده التقويمي لأدباء عصره قائلا:

وَمَا أَدَبَ الأَقوامُ، في كلّ بلدَةٍ إِلى المَنْيِ،إلاَّ مَعْشرٌ أُدباءُ[2]

فضاعتهم مذمومة تجلب الفقر والهوان برغم ما يبذله الأديب من ذل ومهانة في تسويق وترويجه بضائعه الأدبية في أسواق الملوك والأغنياء، ولعل ما وضعه أبو العلاء على لسان إبليس حسن التقى بأديب حلبي خير دليل على فقر حال الأديب وهو أنه يقول: إبليس:من الرجل؟ فيقول: أنا فلان بن فلان (علي بن منصور الملقب بابن القارح) من أهل حلب كانت صناعته الأدب، أتقرب به إلى الملوك فيقول إبليس: بئس الصناعة ! إنها تهب "غفة من العيش"* لا يتمتع الأدب بها العيال، وإنها لمنزلة بالقدم، وكم أهلكت مثلك، فهنيئا لك إذا نجوت.[3]

اللغة أبو العلاء المعري الأدباء وأشفاق على أحوالهم ورأى أنه رغم ذهابهم وإيابهم إلى حضور الملوك والأمراء، إلاّ أنهم لا يجدون ما يسدّون رمقهم، في حين أن الجهلاء ينعمون بالنعم والخيرات الوفيرة وفي ذلك يقول منددا.

---

[1] المعرّي أبو العلاء:لزوم مالايلزم م.س 567/2.

[2] المرجع نفسه 43/1 أدب:عربي

* غفّة من العيش" بلغة منه.

[3] عبد الرحمن عائشة (بنت الشاطئ):جديد في رسالة الغفرلان ص188.

أُنٍّ لما نحنُ فِيهِ مِن عَنْبٍ فكلُّنا فِي تَخَّيل وَدَلَسْ
مَا النَّحوُ والشِّعْرُ والكلامُ،ومَا مُرَقِّشٌ، والمُسَبِّبُ بْنُ عَلَسْ
طَالتْ عَلَى سَاهر دُجْنَتُهُ وَالصُّبح ناءٍ فَمَنْ لَنَا بَعَلَسْ؟[1]

خلاصة القول: أن الفكر الأدبي الملتزم والنهج الأخلاقي الذي اطمأن إليه المعري وآمن به ودعا إليه هو الذي حدّد مسار أدبه، مضامينه فأكثر الصدق والنزاهة ونعى على أصحاب الكلام من نحويين ولغويين وأدباء وشعراء وتفاقهم وتشويههم الحقائق،داعيا الناس (بألا وقد تبنى ذلك جليا في مقدمة ديوانه اللزوميات ولذلك جاء نقده أمضى سلاحا، وأعمق مضمونا وأشد تأثيرا على النفس البشرية)

بألا يتخذ عوامل المثل تلك الفئة الضّالة المضللة، فأدبه ما سخّر إلا لغايات أخلاقية وتهذيبية وإرشادية وقد تبيّن ذلك جليّا في مقدمة ديوانه اللزوميات، ولذلك جاء نقده أمضمى سلاحا، وأعمق مضمونا، وأشدّ تأثيرا على النفس البشرية.

[1] المعرّي أبو العلاء:لزوم ما لايلزم،70/2،المرقش والمسيب بن علس:شاعران من شعراء الجاهلية،علس:الطعام.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

1/ نبذة عن حياة طه حسين:

يعد طه حسين واحدا من أهم المفكرين العرب في القرن العشرين ولد في الرابع عشر من نوفمبر عام 1889[1]، في عزبة "الكيلو" التي تقع مسافة كيلومتر من قرية "مغاغى" بصعيد مصر، والده موظف بسيط يسير الحال يعول ثلاثة عشرة ولدا طه حسين سابعهم.

فقد طه حسين بصره في السادسة من عمره نتيجة الفقر والجهل، وعاش في قرية مغاغة طفولته الباكرة وحفظ القرآن قبل أن يغادرها إلى الأزهر طلبا للعلم تتلمذ على يد الإمام محمد عبده الذي علّمه التمرّد على طرائق الاتباعي من مشايخ الأزهر، وقد حصل على درجة الدكتوراه الأولى في الأدب سنة 1914م من الجامعة المصرية عن أديبه الأثير "أبي العلاء المعرّي"[2]

ثم دفعه طموحه إلى الدراسات العليا في باريس ونجح في نهاية المطاف في الحصول على شهادة الدكتوراه الفرنسية من جامعة السربون التي أنجزها حول "علم من أعلام تونس(...) هو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون واضع علم الاجتماع وفلسفة التاريخ .[3]

عاد طه حسين إلى مصر سنة 1919 بعد أن فرغ من رسالته عن ابن خلدون وعمل أستاذا للتاريخ اليوناني والروماني سنة 1925، حيث تم تعيينه أستاذا في قسم اللغة العربية مع تحوّل الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية، وما لبث أن

---

[1] سعد البازغي وميجان الرويلي،دليل الناقد العربي،المركز الثقافي،ط3، 2002،ص358.

[2] طه حسين–تجديد ذكرى أبي العلاء–دار المعارف مصر،ط6، 1963،ص4.

[3] أبو القاسم محمدّ كرّو طه حسن والمغرب العربي:مؤسسات عبد الله للنسر والتوزيع تونس،ط1، 2001، ص40.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

أصدر كتاب "في الشعر الجاهلي"[1] سنة 1926 وهو كتاب أحدث عددا كبيرا من ردود الفعل المعارضة وأسهم في الانتقال بمناهج البحث الأدبي والتاريخي نقلة كبيرة فيما يتصل بتأكيد حرية العقل في الاجتهاد.

ظل طه حسين يثير عواطف التجديد حوله، في مؤلفاته المتتابعة ومقالاته المتلاحقة وإبداعاته المتدافعة طوال مسيرته التي لم تفقد توهج جذوتها العقلانية وحتى حين أصبح عميد الكلية الآداب سنة رفض طه حسين الموافقة على منح الدكتوراه الفخرية لكبار السياسيين سنة 1932.

تولى طه حسين سنة 1943 إدارة الجامعة الإسكندرية، ولم يكف عن حلمه بمستقبل الثقافة أو انحيازه إلى المعذبين في الأرض في الأربعينات، حيث عيّن وزيرا للمعارف في الوزارة الوفدية في 1950/01/13 إلى غاية 1952/01/21 وخلال هذه الفترة القصيرة أحدث ثورة كبيرة في نشر التعليم في مصر، ورفع شعاره المعروف الذي آمن به ودعا إليه: "التعليم ضروري للناس ضرورة الماء والهواء".[2]

لقب طه حسين بعميد الأدب العربي لتأثيره الواضح على الثقافة المصرية والعربية فهو مبدع السيرة الذاتية ويعد كتابه "الأيّام" الذي نشر جزءه الأوّل في مقالات متتالية في أعداد الهلال عام 1926 ونشر كاملا في 1929[3] أول مؤلف في السيرة الذاتية في الأدب العربي.

---

[1] طه حسين في الشعر الجاهلي،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة 1926،ص12.

[2] أنظر:أبو قاسم محمد كرّو–المرجع السابق،ص55.

[3] أنظر:طه حسين–الأيّام–مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة 1991،ص06.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

تميزت هذه الفترة من حياة الأديب–رحمه الله– بسخطه الواضح على تقاليد مجتمعه وعاداته لذلك كان مؤلفه "الأيام" طرازا فريدا من السيرة، ويبدو أنّ حدّة الهجوم عليه ودفعه لاستبطان حياة الصبار القاسية ووضعها موضع المساءلة ليستمد من معجزته الخاصّة التي قاوم بها العمى والجهل في الماضي القدرة على مواجهة الحاضر، وقد توفي طه حسين في 1973/10/28[1] عن عمر يناهز الرابعة والثمانين.

2/ مؤلفاته:

عندما توفي طه حسين خلّف وراءه مجموعة من الكتب والمؤلفات نذكر منها:

1) ذكرى أبي العلاء: القاهرة 1915 مطبعة الواعظ بمصر وهي الرسالة التي تقدّم بها طه حسين لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية سنة 1914 .

2) قادة الفكر: القاهرة 1925 مطبعة الهلال.

3) حديث الأربعاء: ثلاثة أجزاء،الجزء الأول 1925 الجزء الثاني 1926 الجزء الثالث 1945.

4) في الأدب الجاهلي:القاهرة 1927.

5) الأيّام: ثلاثة أجزاء، الجزء الأول القاهرة 1929، الجزء الثاني 1940، الجزء الثالث 1972.

6) دعاء الكروان:القاهرة 1934.

7) من بعيد: القاهرة 1935، المطبعة الرحمانية.

---

[1] أنظر:أبو قاسم محمد كرو–المرجع السابق،ص353.

8) مع أبي العلاء في سجنه: القاهرة 1935 مطبعة المعرف.

9) من حديث الشعر والنثر: القاهرة 1936 مطبعة الصاوي.

10) مستقبل الثقافة في مصر: القاهرة 1938 مطبعة المعارف.

11) شجرة البؤس: القاهرة 1944 مطبعة المعارف.

12) فصول في الأدب والنقد: القاهرة 1945 دار المعارف.

13) صوب أبي العلاء:القاهرة 1945 العدد 23 من سلسلة اقرأ دار المعارف.

14) المعذبون في الأرض: نشرت في مجلة الكاتب المصري 1948،،وطبعت في صيد لبنان 1949.

15) مرآة الضمير الحديث: بيروت 1949 دار العلم للملايين.

16) جنّة الحيوان: القاهرة 1950 مطابع جريدة المصري.

17) بين بين: بيروت 1925 دار العلم للملايين بيروت.

18) خصام ونقد: بيروت 1955 دار العلم للملايين.

19) من أدبنا المعاصر: القاهرة 1958 الشركة الغربية للطباعة والنشر.

20) من لغو الصيف إلى جد الشتاء: بيروت 1959 دار العلم للملايين.

21) خواطر: بيروت 1967 دار العلم للملايين، وغيرها.[1]

يقول الدكتور محمد مصايف مشيدا بأعمال طه حسين وما تركه من آثار: انتقل طه حسين إلى رحمة الله، ولكن أفكاره وآثاره ستظل مصدر إشعاع وستبقى

[1]أنظر:طه حسين–تجديد ذكرى أبي العلاء–دار المعرف مصر ط6،1963،ص290.

مواقفه خير أسوة ككل أديب ملتزم يأبى أن يستعمل قلمه في خدمة غير الحق والفن الصحيح، وبهذا ستعجز أستاره عن آن أن تحجبه عن الأزمان".[1]

3/ ثقافته:

يعد طه حسين المفكر الحرّ الذي تناول بجرأة كبيرة قضايا المسكوت عنها التي مازلنا تخوض غمارها حتى أيامنا هذه من قضايا الأصالة والمعاصرة، وكذا الموروث والمستحدث، ثم قضايا بالشارع حول ثقافة النقل وحرية العقل إلى العلاقة بين الشرق والغرب وقضايا التجديد في الأدب والفكر.

ومطلقا العنان لعقله الصغير ومخيلته للنهاب بعيدا حيث يريد، وبذاكرته القوية استطاع طه حسين أن يحفظ القرآن قبل أن يكمل العاشرة، وبعدها وقل الأزهر حيث عدّه والده مشروع شيخ إلاّ أنه تمرد على هذه الأمنية في تأثره بثلاثة من أهم مفكري مصر آنذاك هي: محمد عبده، قاسم أمين لطفي السيد.[2]

تكونت أصول حاسته الأدبية وشحذت في بيئة حيث حفظ شيئا من المتون أو كتاب مجموع المتون وشيئا من ألفية بن مالك تأهبا للأزهر واستعداد للانتظام في طلبه، فلما جاءه واختلف إلى أساتذته وعرف أصول النحو والصرف والاشتقاق أو بمعنى آخر عرف السبيل إلى تصريف القول وتركيب الكلام اكتملت عنده أداة الأديب...وتلك هي أولى درجات الأدب.[3]

---

[1] محمد مصايف–دراسات في النقد والأدب–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1981،ص123.

[2] حلمي مرزوق–تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأوّل من القرن العشرين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1، 2004،ص455.

[3] أنظر:محمد قاسم كرو،المرجع السابق،ص28.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

هكذا كان طه حسين فإذا جاء الأزهر انصرف عن الفقه والنحاة والتوحيد وما شابههما من علوم الأزهر الأصليّة وحاول أن يرجع انصرافه عن هذه العلوم إلى شيوخ الأزهر وطرائق التعليم التي اعتمدها المشايخ والتي كانت لا تتغير، ولكن الدكتور حلمي مرزوق يرى أن نزعته الأدبية وملكته الفطرية التي شحذتها البيئة وكذا طبيعة التمرد الذي شب عليها هي التي صرفته عن هذه العلوم والمتون إلى الأدب، وانخراطه في سلك الثائرين على دراسات الأزهر إلى جانب الشيخ سيد بن علي المصرفي الذي أكبر فيه نزعة التمرد وأعزاه بالثورة والنيل من جدواه، وكانت أشد صفات المرصفي أنه يكره الأزهريين وتقاليدهم، ويزدري دراستهم ومذاهبهم في هذه الدراسة وكان يقضي أكثر وقته عاتبا بالشيوخ ساخرا منهم محاولا أن يجيب الأدب إلى تلاميذه، ويبغض إليهم دروس الأزهر المألوفة وكتبه التقليدية.[1]

ذكر طه حسين في كتابه "الأيام" أنه عرف مع الشيخ المرصفي السبيل إلى أمهات الكتب العربية القديمة التي لا تحسب في كتب الأزهر مثل ديوان الحماسة لأبي تمام ونهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب والكامل للمبرد ومقامات الحريري والهمداني والمعلقات وغيرها.[2]

لقد كان لتكوين طه حسين في الأزهر والجامعة أثرا في جمعه بين القديم والحديث، وبين الأصالة والمعاصرة من خلال تلقيه تكوينا أوليا في الأزهر وتكوينا

---

[1] حلمي مرزوق،المرجع نفسه،ص457.

[2] طه حسين:الأيام،المرجع نفسه،ص156-157.

عن مناهج البحث التي تلقاها على أيدي المستشرقين الذين قدموا محاضرات محاضرات حول تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي.[1]

لم يكن طه حسين عاقلا بسيطا في حياته فقد جسد ثورة العقل العربي على القديم المقدس، وكانت هذه الثورة عنيفة على الثقافة العربية فلم يستطع الذهن العربي تخيل ما جاء به لأن فكره كان مزيجا بين ثقافتي الغرب والشرق حيث تلقى تعليمه العالي في مصر وفرنسا.

4/ الأعلام الذين تأثر بهم طه حسين:

طبق طه حسين العديد من المناهج في دراسته النقدية، وسواء أخذ بهذه المناهج من الجهة النظرية أو التطبيقية،/ فإن ملامحها ظهرت في النصوص العربية التي قدّمها، مثل ذلك ظهور المنهج التكاملي الذي طمع فيه بين المناهج التاريخي والنفسي والفني، هذا إلى جانب ظهور منهج الشك الديكارتي، والمنهج التأثري، في نصوصه التي يمكن أن نذكر منها كتاب **تجديد ذكرى أبي العلاء وحديث الأربعاء في الشعر الجاهلي.**

ترك طه حسين بصمات واضحة في الجيل الذي تلا جيله، لأنّه كان قدوة الناقد الذي ربط اتصالا حميما بثقافته العربية القديمة، وقد أسهم بدراسته في تقدّم مفهوم البحث العلمي لما كان منهج البحث فيه مختلطا، وقد سمحت له دراسته في علم التاريخ وعلم الاجتماع، واطلاعه على المعارف النفسية أن لم يحد عن الهيكل الذي يعتمد فيه على دراسة الحياة من خلال النص الأدبي، واهتم بالأدب قبل

[1] أنظر:حلمي مرزوق،المرجع السابق،ص462.

الأديب، ويرى طه حسين أن الناقد يبتغي أن يتخلص من أهوائه قبل أن تتعرّض لنتاج أدبي بالنقد، ويرى أنّ النقد تمحيص للفن والعلم، وهكذا استطاع أن يأخذ طريقا في النقد المنهجي.

5/ الأعلام الذين تأثّر بهم: لقد تأثّر طه حسين بالعديد من الأعلام منهم المتقدمون والمعاصرون الذين مثلوا المرجعية الفكرية التي تنهض عليها رؤيته النقدية من بين هؤلاء النقاد:

أ) المتقدمون:[1]

1- رينيه ديكارت: اقترح ديكارت قواعد يهتدي بها العقل في الوصول إلى الحق وهي:

- أن لا نقبل قط شيئا على أنّه حق من غير أن نكون على بينة من أنّه كذلك أي أن نتجنب الهوى والعجلة وأن لا نضمن قضايانا من الحكم أكثر مما يتمثل للعقل تمثلا هو من الوضوح بحيث لا يبقى لدينا الشك فيه مجال.

- أن يجزئ كل مشكلة تمتحنها إلى أكبر ما يمكن أو إلى ما يتطلبه حل المشكلة من الأجزاء.

- أن نسير في تفكيرنا على ترتيب ونظام مبتدئين بأبسط الأشياء معرفة لنرتقي بالتدرج إلى علم مقعدّها.

[1] ينظر:فاطمة بنت حميد بن جود الله الحسني في ضوء العقيدة الإسلامية،جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية2009،ص146-159

– أن نقوم في كل حالة بتعداده ومن الكمال وباستعراضه ومن السعة بحيث تكون على ثقة من أننا لم نفلت شيئا

2- فولتير:Voltaire1778-1694 : يخص طه حسين أدبيين فيلسوفين فرنسيين ويذكر أنهما أثرا في فكره تأثيرا كبيرا، وملكا عليه حياته العقلية وهما فولتير وديدرو وقد اتفق كل من فولتير وطه حسين في الأمور التالية:

– كلاهما حاول الابتعاد عن الخوض في الدراسات الميتافيوقية.

– كلاهما لا يؤمن إلا بالعقل وقوة العقل.

– نادى فولتير بالحدس البشري، كما اعتمد على التاريخ.

– نادى كل منهما بوجوب الفصل بين الدّين والدولة.

3- جان جاك روسو (1778-1712)Jean Jacques Rouseau : يتفق كل من طه حسين وروسو في لأن الرذيلة الأساسية في المجتمع هي عدم المساواة الاجتماعية، أو الطبقية في المجتمع الواحد، ويرجع روسو إلى الملكية الفردية أساس البلاء والتفرقة، وطه حسين يرجع هذا إلى احتقار الفرد وإهماله.

ب) المعاصرون لطه حسين:[1]

1- هيبوليت تين أدولف: تقوم فلسفته على اعتبار أن الإنسان حيوان من نوع أرقى له القدرة على أن ينشئ الفلسفات وينظم القصائد وشبهه على نحو النحل

[1] ينظر:فاطمة بنت حميد بن وجود الله الحسني،فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية،جامعة أم القرى،المملكلة العربية السعودية،2009،ص160-175.

حينما يصنع العسل، وثم درغاسة الإنسان في التاريخ، ودراسة التاريخ تكون في الأدب، وعن طريق دراسة كبار الأدباء والفنانين.

وتين وضعي حسي يحاول تطبيق منهج العلوم الوضعية، مثل الفيزياء على العلوم غير المادية كعلم النفس والادب والتاريخ، ولا يؤمن بأي سبطة غير سلطة العقل (فالعالم عنده ولا يفرض) مع أنه يرفض الميتالفيزقيا.

وقد اتفق طه حسين مع هيبوليت تين في عدّة نقاط هي:

– كلاهما يؤمن بأن الظواهر المادية والمعنوية تسير وفق معيّن، وتحديد سابق، وقانون لا يتغيّر، حتى التاريخ، فليس في الكون مجال للمصادفات أو الترجيح، وإنّما هي علل.

– كلاهما يؤمن بأن ليس للإنسان حرية في الحياة إنّما هو صنيع الزمن كما صنيع البيئة والعادات، فنحن مسيّرون.

– عندما حاول طه حسين أن يكتب في التاريخ وجد اتفاقا كبيرا بينه وبين تين وأسسه الثلاثية التي اعتمد عليها وهي: الجنس والبيئة واللحظة التاريخية.

2– سانت بيف: يتفق مع طه حسين في المنهج التأثيري الذي يعتمد على التأمل فهو مثله أبحاثه تصوير لحياة الفرد أو الجماعة تصويرا دقيقا يعتمد أساسا على تصرفات الفرد وخلقه، وعلى تصرفات الفرد وخلقه، وعلى تأملات المؤلف واستنباطاته الشخصية.

3- دوركايم (1858-1917) Dur Kheim: حرص على أن يجعل من علم الاجتماع علما باستخدام المنهج العلمي الذي يقوم على الملاحظة والاستقراء بهذا فاكتشاف القوانين التي تربط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض.

ويتفق طه حسين مع دوركايم: في اعتباره الجماعة مصدر العلم الاجتماع لا القرى،ويعتقد أن علم الاجتماع لا يقوم على الملاحظة فقط، وإنّما الملاحظة هي نقطة ابتداء فقط.

ج) الأدباء الفرنسيون:[1] **1-بودلير (1821-1867) Baudleaire:** تأثر طه حسين ببولدير في إطلاقه الفنى من قيود الأخلاق، ومن هذا التأثير أن ترجم له ديوانه **أزهار الشر**، وقال عنه أنه استطاع أن يتخذ من الرديلة والضعف البشري موضوعا للفن.

2- بول فاليري (1871-1945)Paul Valéry : يقول طه حسين: "إن هذه الكلمات التي يتألف منها شخص بول لافاليري قد كانت قوية إلى أبعد غايات القوة، والعدل، فهي تلائم بينهما في صرامة، وتقييم الأمر بينهما بالقسطاس، وتمنع بعضها أن يبغي على بعض، وما أعرف أني قرأت لكاتب أو شاعر في لغة من اللغات التي استطعت أن أقرأ فيها فوجدت هذا الاعتدال والاستواء والتناسق كما لم أجدها فيما أقرأ لهذا الشاعر، لا أستثني من ذلك إلا حوار سقراط".

3- أندري جيد (1869-1949) André Gide: ذكر كمال قلته أمور يتفق فيها طه حسين معه وهي: كلاهما كتب يومياته، كما أن جيدة عرض لشؤون

---

[1] ينظر:فاطمة بن حميد بن وجود الله الحسني،المرجع السابق،ص176-187.

الدّين بالنقد، وطه حسين أيضا عرض الأزهر بالنقد، وكلاهما جعل الملاحظة والمراقبة والنقد قواما لشخصيته العتيبة.

6/ منهج طه حسين النقدي:

إن المتتبع لأعمال طه حسين يلحظ تميزها بمجموعة من المناهج النقدية فنجد تأثره بسانت بيف، حول لومتير آناتول فرانس جعله يأخذ بنظرية التعبير الذاتي، ودفعه تأثره بهوبيليت تين، وفرديناند برونتيار ولونسون إلى الأخذ بنظرية التعبير الاجتماعي إذ "يعتبر الرائد الفعلي لهذا الاتجاه الذي عرف بالمنهج التاريخي...وهكذا نشط تين في هذا الاتجاه حتى أصبح من رواد الحتمية التاريخية أو الجبر التاريخي الذي أخذه طه حسين عن أساتذته المستشرقين في الجامعة"[1] كما تمسك طه حسين بمنهج الشك الديكارتي وموضوعية ابن خلدون وفضلا عن تمثله لكثير من فلسفة أبي العلاء، هذا ما جعله يحافظ على قسط كبير من الموضوعية في دراساته النقدية.

يلخص طه حسين في تحديده للعمل النقدي بأنّه مجتمع من الصور لنفسانيات ثلاث: هي نفسية الأديب المؤثر ونفسية المتلقي المتأثر ونفسية الناقد الذي يقضي بينهما العدل.

جمع طه حسين بين معالم المنهج التأثري الذاتي ومعالم المنهج التأثري الواقعي بفضل ما تميز به من موضوعية فنية، فكان المنهج الناتج منهجا جديدا هو

[1] حلمي مرزوق-تطور النقد الأدبي الحديث في الربع الاول من القرن العشرين-دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2004-ط1،ص468.

المنهج التأثري الجمالي الذي يراعي فنية الإبداع الأدبي وجماليتاه داخل دائرة واسعة تشمل وجدان الأديب والواقع الاجتماعي.[1]

يحاول المنهج التاريخي دراسة الأدب من خلال لارتباطه بالتنازع أو بعبارة أخرى خلال الظروف والأحداث" التي أحاطت بالأديب والتي لا شك أنها أثرت فيه، فأصحاب هذا المنهج يرون أنّ أدب أي أمّة من الأمم هو صورة لحياتها السياسية والاجتماعية في حقب تاريخية متعاقبة ولذلك يمكننا أن نعد أدب هذه الأمّة مصدرا من مصادرها التاريخية، لأنّ الأدباء يعايشون الأحداث المختلفة، فيصورونها في أدبهم، كما يتأثرون بها أيضا، لذلك يرون أن التاريخ هو المجال الوحيد الذي نستطيع من خلاله دراسة الأعمال الأدبية.

يعد الإبداع الأدبي عند طه حسين مزيجا من العوامل الاجتماعية التي يفرزها المجتمع والمؤثرات الذاتية التي يكتسبها الأديب، فهو ينطلق في تحديده للإبداع الأدبي من أنّه ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون إلاّ في الجماعة التي تسمع أو تقرأ الإبداع الأدبي، وبذلك فلا يجوز للأديب أن يصوّر خواطره وآراءه، وهو لا يريد بهذا إلاّ تصوير نفسه ولا يوجه التعبير إلاّ إليه، لأن الأديب كائن اجتماعي لا يستطيع الانفراد بحياته الأدبية، ولا يستقيم أمره إذ اشتدت صلته بالناس فكان صدى لحياتهم وكانوا صدى الإنتاجية.[2]

---

[1] أنظر :شايف عكاشة،نظرية الأدب في النقد التأثري العربي المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1994،ص115.

[2] أنظر :شايف عكاشة،المرجع السابق،ص470.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

تلتقي النزعة العلمية بالنزعة الأدبية في أعمال طه حسين النقدية "فأنت ترى أن تاريخ الآداب منقسم بطبعه إلى قسمين: القسم العلمي والقسم الفنيّ ولكن هذين ليسا متمايزين".[1]

هذا التداخل والتمازج الحاصل بين علمية الأدب وفنيته هو سمة من سمات البحث العلمي الفني مال طه حسين بع عودته من فرنسا عن الجفاف العلمي إلى الرقة الأدبية، وجاء بجملة من الأصول الفنية التي اتخذتها معيارا للنقد نذكر منها: الصدق الفنّي يشمل على مجموعة من المبادئ النقدية كمجاراة العصر، أي أنّه من الصدق أن تستجيب لمشاكل العصر ودواعي التطور، فلا يقف الأديب عند مواضيع القدماء، ولأن لا يتكلف في التعبير أسلوبا غير اسلوبه ولا نهجا غير نهجه، وقد "حاول طه حسين أن نخلص الأدب من هذه الأوضاع فتبنى هذه الدعوة، وألح على مجاراة العصر ومطالب الذوق ولا يكون ذلك إلا{ بالصدور عن مشاكل الحياة المعاصرة والتعبير عنها تعبيرا مباشرا لاصطناع فيه ولا تكلف ولا تقليد".[2]

لقد استفاد طه حسين من الغرب فائدة لا تتضح في أسلوبه فحسب وإنّما هي شائعة في فكره وأدبه ونقده إلاّ أنّه لم يتنكر للأدب العربي في قراراته يوما، وإن أليس قواعده لباسا ظاهرا من النقد الأوروبي.[3] وفتح هذا الباب واسعا أمام مجموعة كبيرة من النقاد الذين اندفعوا إلى مؤازرته مطبقين بذلك معالم المنهج التأثري

---

[1] طه حسين،في الأدب الجاهلي،دار المعارف مصر،القاهرة 1926،ص48.

[2] حامي مرزوق،المرجع السابق،ص475.

[3] أنظر:حلمي مرزوق،المرجع نفسه،ص491.

الجمالي ولعلّ من أشهرهم: شفيق جبري، يحي حقي، شوقي ضيف، وإحسان عباس.[1]

7/ مضمون كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء":

يشير طه حسين في التمهيد إلى أن الكتاب لم يكن دراسة لحياة أبي العلاء وإنما دراسة لحياة النفس الإسلامية في عصره، فأبو العلاء ثمرة من ثمرات عصره عمل على إنضاجها الزمان والمكان والحال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إذ يقول: "يدلّ ما قدمناه على أن نرى الجبر في التاريخ أي أنّ الحياة الاجتماعية إنّما تأخذ أشكالها المختلفة وتنزل بمنازلها المتباينة بتأثير العلل والأسباب".[2]

ومن هنا يريد طه حسين من خلال كتابه دراسة حال الأمّة العربية، فحكيم المعرّة عربي عاش عيشة عربية وآثارها كلها عربية فمن أراد أن يستقصي أمره كان خليقا أن يبحث عن حال الأمّة العربية في عصره.

لمّا كان أبو العلاء خاضعا في أدبه وعلمه للزمان والمكان، قدمّ الكاتب فصلا عن حياته وآخر لبلده ثم لأسرته كونها أوّل ما يحيط به فإذا فرغ من هذا انتقل إلى الحياة التاريخية للرجل، فعمد إلى تصنيف منزلته الأدبية في قسميها الشعر والنثر ثم منزلته العلمية، وبعد هذا كلّه يتناول فلاسفته مركزا على الفلسفة الإلهية عنده لما كان حولها من اختلاف في الآراء.

---

[1] أنظر :شايف عكاشة،المرجع السابق،ص125.

[2] طه حسين :ذكرى تجديد أبي العلاء،دار المعارف،مصر،ط6، 1963،ص18.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

انتقل طه حسين إلى "مصادر الكتاب" التي مالت في أغلبها إلى المنهج التاريخي فتعرض لها بالتفصيل سواء العربية منها أو الإنجليزية أو الفرنسية وغيرها وقد قسم طه حسين عمله إلى خمسة فصول، جاءت كالآتي:

1) زمان أبي العلاء: وفي هذا الفصل تحدثنا عن الحتمية التاريخية، وكيف أنا السّبيل لفهم أبي العلاء

جاء في "أولها" حديث عن زمان أبي العلاء ومكانه، إذ يرى أنّه لابدّ لنا أن نصنف عصر أبي العلاء في حاله الأدبية والفلسفية، ومزاجه الخلقي الاجتماعي حتى يتأتى لنا فهم ألأبي العلاء وكأنّه شيء متصل بعصره لا منفصل عنه، وهنا تتجلى عنده آراء "تين" خاصّة دراسة زمان أبي العلاء ومكانه وشعبه إذ يقول: "نعم إنّ لعصر أبي العلاء علينا أن نلم به هذه الإلمامة، ولنقضي حقّه، ونفي بعهذه، ولتستمد لأنفسنا منه القوة والأيدي فإنّ أمرا لا يصل حديثه بقديمه، ولا يؤلّف بين لاحقه وسابقه، ولا يجمع طارفه إلى تالده، ولا يستمد حوله وطوله–بعد الله وصدق العزيمة–من حول آبائه وطولهم، حري بالموت، لا بالحياة، وبالعدم لا بالوجود"[1]، ثم نقوم بتحديد موضع عصر أبي العلاء من العصور العباسية فيرى أن الحياة السياسية للمسلمون تأثرت بحال الخلفاء، فقويت حين كانوا أقوياء، وضعفت حين نال منهم الضعف، ويتجلى موقفه أيضا من خلال رصده للظروف السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية التي ميزت عصر أبي العلاء فيراها

[1] طه حسين المرجع السابق،ص29.

ضرورية إذ يقول: "فليس لنا بدّ من أن نصف في عصر أبي العلاء،...حياته السياسية والاقتصادية، ومزاجه الخلقي والاجتماعي.ليتأتي لنا أن نفهم أبا العلاء".[1]

ينتقل طه حسين للحديث عن الحياة العقلية في هذا العصر فيشير إلى أنّ الأمّة الإسلامية نقلت ما ورثت اليونان من أنواع الفلسفة والحكمة، فترجمت كتب أرسطو وأفلاطون، ويذهل إلى أنّ العرب عرفوا التاريخ قبل الإسلام برواية الحوادث واستظهارها.

في العصر العباسي اختلط العرب بالفرس والأعاجم، واحتدمت الفتن، وكثرت التراجم الأمر الذي أدّى إلى انبثاق المذاهب وتعدّد الآراء، وهذه هي العلة الكامنة في جانب من جوانب إبداع أبي العلاء، وفي هذا يقول طه حسين: "على أنّ هذه الصورة الطريقة الواحة التي مثلها العصر،لم تكن إلاّ تمهيدا لعصر جديد...والدليل في شيئين اثنين: أحدهما نظري معقول والآخر عملي محسوس، فأمّا الأوّل: فهو أن اتصال العرب بغيرهم من الأمم...

يكاد لا يكون إلاّ اتصالا سياسيا وماديا، وأوّل ما ينتجه هذان النوعان من الاتصال، إنّما هو الاتصال العقلي أي تعارض المذاهب والآراء في العلوم والأدب، وفي الفلسفة والدّين...وأمّا الثاني: فهو ما نراه من الآثار العلمية والأدبية".[2]

---

[1] أنظر،طه حسين:المرجع نفسه،ص30-37.

[2] ينظر:طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،مجلد3،ط2، 1987،ص400-401.

ومنه تقسيم التاريخ أيضا إلى مدارس، حيث رصد طه حسين التيارات الفكرية المتسلطة في حقبة أبي العلاء، ومنه قوله: "ومنه قوله: "ومن هذه الأشياء ما يتناقله المؤرخون: من أنّ بعض التراجم العلمية شاعت في بلاد الشام، أيام عمر ابن عبد العزيز، ومنها هذه المجالس الكلامية في مسجد البصرة أيّام هشام ابن عبد الملك، تلك التي كانت تناظر فيه المرجنة، والوعيدية وممثلوا رأي الجماعة، والتي أنشأت مذهب المعتزلة على يد واصل ابن عطاء ومنها هذه الشعوبية التي أنطقت بعض شعراء الموالي بتفضيل الفرس على العربي بين يدي هشام بن عبد الملك، ومنها مجالس القصص والتاريخ التي كانت تأتلف بمسجد الكوفة حول أبي مخنف يحي ابن لوط، وحول سيف ابن عمر، ومنها تلك المجالس اللغوية التي كانت تأتلف حول أبي عمر ابن علاء وإضرابه، ومنها هذه الزندقة التي نمت بها سيرة الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك، وأظهرها في أوائل العهد العباسي يشار روحها ومطيع، وابن المقفع...."[1]

ومنه جملة العلل الفكرية والفلسفية، أو المدارس التي أحاطت أبي العلاء، والذي نشا وقضى حياته في العصر العباسي الثاني، والتي تكون بدايته بحسب تاريخ طه حسين في نصف القرن الثالث وانتهائه قبل منتصف القرن الخامس، أيضا نضج العقل الإسلامي، وظهرت آثاره المتقنة، وله أيضا جرى على ذلك في الفصل الثاني، حياة أبي العلاء.

[1] ينظر:طه حسين،من تاريخ الادب العربي،المصدر السابق،ص399.

2) حياة أبي العلاء: بدأ طه حسين في هذه المقالة بالحديث عن قبيلته ومولده، وتتجلى هنا آراء سانت بيف من خلال اهتمام المؤلف بكل ما يحيط بشخصية أبي العلاء منذ ولادته إلى ما بعد وفاته، ويعدها طه حسين مؤثرات تعمل على تكوين مزاجه الخلقي والعقلي.[1] ثم ينتقل في الطور الثاني من حياته إلى رحلته في بغداد، وكيف لقيه الناس هناك، لأنه كار رجل شديد العفة، لم يكن ليمدح وزيرا أو ملكا ولا ليقبل هدية أو عطاء من أحد.وفي رجوعه من بغداد يلقى خبر نعيّ أمه، الذي يوقع في نفسه شديد الحزن والألم، وهكذا بدأت حياته بالمصائب فقد بصره، ومات أبوه ولزم أثقل الأصحاب ظلاّ وأسمجهم مظهرا وأقبحهم جورا وهو الفقر فلمّا انحدر إلى بغداد لفيته الأيّام بظلم السلطان له، ثمّ قدمت له بغداد كأسا من الشهرة العلمية مزاجها اليأس من حسن المقام، ليخلفه الأمل وينجر إليه اليأس، فعاد من بغداد كارها.[2]

وفي الطور الثالث يتحدث عن عزلة أبي العلاء ويصوّرها بدقة شديدة إذ يقول: "فقد ارتوى فيها رجل مكفوف نحيف في وجهه آثار الجدري، ترتسم على جبينه صورة مختلفة تمثل جزنه، وألمه عشرة من الناس، وأحله السعادة التي يخبؤها له هذا السجن المظلم".[3] ولكنه فشل في عزلته هذه، فإن كان أبو العلاء زاهدا في كل ملذات الحياة فلن يستطيع أن يزهد في العلم والتأليف، لأنّ كليهما يكلفه عشرة الناس لاحتياجه من يقرأ، ومن يكتب عنه.

---

[1] أنظر: طه حسين :ذكرى تجديد أبي العلاء،دار المعارف،مصر،ط6، 1963،ص118.

[2] أنظر:طه حسين،ذكرى تجديد أبي العلاء،المرجع السابق،ص120-121.

[3] أنظر:طه حسين،ذكرى تجديد أبي العلاء،المرجع السابق ص156

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

تطرق طه حسين بعد ذلك إلى شهرة أبي العلاء وموضوع درسه، فذكر أنه لم يكن أستاذ فلسفة ودّين إنّما كان أستاذ لغة وأدب، غير إنّ لزومياته حملت شيئا من الفلسفة، لذا لابد من الاعتراف أن أبا العلاء قد درس طلابه الفلسفة أيضا، كما يشير طه حسين أيضا إلى العلاقة التي تربط أبي العلاء بالسياسة ويتحدّث عن ثروته وسيرته في بيته، ليخلص من هذا إلى أن أخلاقه أقل ما يقال عنه أنه زهد واعرض عن ملذات الحياة، وكان عفيفا قانعا، ذا عزّة نفس، جعلته كريما سخيا طيبا طيلة حياته التي انتهت في 13 ربيع الأوّل (499هـ، 1058م).[1]

وبالرغم من أن منهج طه حسين واحد إلاّ أنّه في هذا الفصل توغل أكثر في العلل التي احتوت البناء الذاتي لشخصية أبي العلاء ونفسيته من حيث مولده وأسرته وتنقلاته، ووقف وقفة على الفاجعة التي أصبته جرّاء موت أبيه، ومنه فقدان البصر، لينتقل بعد ذلك إلى الطور الثاني في حياة أبي العلاء أين حاول إظهار ظروفه الصعبة حيث قال: "وهنا آثار فطرته السليمة، ودراسته الفلسفية، الصحيحة، أغلت قيمته عليه، ومتعته من ابتذالها فكره أن يكون كغيره من الشعراء يصوغ الأكاذيب ليتزوج بها طائفة من المتغلبين الذين يظلمون الناس،...وفي قول آخر،أثر الفقر وضيف ذات اليد على الثروة يراق في سبيلها ماء الوجه، ويحتمل في تحصيلها ذل السؤال، وهنا يظهر آثار ما ورث عن أسرته وقبيلته من خلق العزّة".[2]

---

[1] أنظر: طه حسين،المرجع السابق،"ذكرى تجديد أبي العلاء"،ص158-172.

[2] ينظر:طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،مجلد3، ط2، 1987، ص478.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

3) أدب أبي العلاء: في هذا الفصل يتجلى تطبيق الحتمية التاريخية على أدب العلاء ويبدو ذلك جليا من خلال قول طه حسين: "تدل المقالة الأولى على أنّ الحياة العامّة في عصر أبي العلاء، لم تكن شيئا تطمئن إليه النفس، أو يرضى به الرجل الحكيم، لفساد ما كان فيها من سياسة وخلق، ومن تقسيم ثروة وتأثير ودين. وتدل المقالة الثانية على أنّ الحياة الخاصّة لأبي العلاء، لم تكن خيرا من الحياة العامة فقد مزجت بألوان من المصائب وعثور الجدّ، وعلى أنّ الرجل قد أحسن الدّرس، وأجاد التعلّم، ورحل غلى مدن مختلفة، وأقام في بيئات متباينة، وكلّه قلب ذكي....فهذه المؤثرات كلّها قد اشتركت في تأليف التراث الأدبي لبي العلاء، فإذا وصفنا هذا التراث، كان من الحق علينا أن نحّله إلى عناصره، ونرده غلى مصادرة".[1]

يتحدث طه حسين في المقالة الثالثة من كتابه عن أدب أبي العلاء واتصاله بكل ما يحيط به، ثم ينتقل إلى شعره الذي يظهر في دواوين ثلاثة هي:

"سقط الزند" وهو المشهور، يشمل أيام الصبا والشباب، و"الدرعيات" ديوان صغير يصف فيه الدرع خاصّة، ثمّ لزومياته وهو أكبر الدواوين الثلاثة.

يفصل طه حسين في كل ديوان على حدة، ويتبجه بكلمة عامّة حول منزلة أبي العلاء من الشعر، مركزا على خصائص شعره من خلال قوله: "وليس فقي شعر العرب كافة، من يشارك ابا العلاء في خصال امتاز بها: منها أنّه أحدث فنافي

[1] ينظر:طه حسين،المرجع نفسه،ص529.

الشعر، لم يعرفه النّاس منى قبل، وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب اللزوميات".[1]

4) علم أبي العلاء: في هذا الفصل يحدثنا طه حسين عن طغيان الصبغة العامية على أسلوب أبي العلاء الأدبي، بالإضافة إلى عرض ما درسه أبو العلاء من فنون، وكانت العلوم اللغوية هي أظهر هذه الفنون، فهي التي أمدت شعره ونثره بالغريب واصطلاحات العلم، وهي التي أنفق أيّام عزلته في درسها كما يشير طه حسين إلى كتب أبي العلاء المنظومة والمنثورة في العلوم والآداب.[2]

وفي هذه المقالة يحاول متابعة تحصيله العلمي ودرسه في جميع أطوار حياته، ويقول في ذلك: "فنرى أنّه لم يجلس مجلس التلميذ من الأستاذ إلاّ في طور الصبا، وأنه لما شبّ أخذ في قراءة الكتب...ولمّا بلغ السادسة والثلاثين، حل إلى بغداد فزار مكاتبها، وجالس علماءها وأدباءها، ومن كان فيها من الفقهاء والفلاسفة....ثم رجع إلى المعرّة فاشتغل بالتعليم والتأليف....وهذه الخلاصة تتيح لنا أمرين، أحدهما هو العلم الذي ملك حياة أبي العلاء، واستأثر بها في أطواره الثلاثة، والآخر أنّه اعتمد على نفسه في تحصيله".[3]

5) فلسفة أبي العلاء: في هذا الفصل يتطرق طه حسين إلى فلسفة أبي العلاء ويفصل في تفضيل محاولا تجلي أسرارها ودقائقها، فيعرج على مصادرها وأصولها ثم أنواعها من فلسفة طبيعية ورياضية وإلهية.

---

[1] ينظر :طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،المرجع السابق،ص210.

[2] أنظر ،طه حسين:المرجع السابق،"ذكرى تجديد أبي العلاء"ص212-266.

[3] ينظر ،طه حسين:من تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،مجلد3،ط2، 1987،ص573.

ويتجلى منهجه في أنه يرجع هذه الفلسفة إلى الظروف التي كانت تحيط بابي العلاء ويعصره؛ "يقول فأنت ترى أن فلسفة أبي العلاء لم تكن إلاّ نتيجة ما طاف به من أحوال عصره، ومن الواضح أنّ هذه الأحوال لم تزد على أنّ زهدته في الحياة وجملته على التفكير والدّرس، وأنّ هذا الدّرس،ى وذلك التفكير هما اللّذان أنتجا له كثيرا من آرائه الخاصّة في الفلسفة على اختلاف فنونها".[1]

وبعد ذلك يلتفت إلى فنونه، مستعينا بما ترك من آثار أدبية، ومن أسماء الكتب التي ألفها، لينتهي في الأخير إلى فلسفته، قائل: "أحيينا أن نكتب عن أبي العلاء، وعن أدبه وفلسفته، لا يفزع مننها القارئ حتى يتجلى له القرن الرابع والخامس واضحين، ولسنا نزعم أننا وقفا فيها إلى كمال التأليف، وإلى ما يقرب من الكمال، وإنّما نعتقد أنا لم ندع جهدا في البحث والتنقيب، وفي التعليل والاستنباط إلاّ بذلناه ولسنا نحمد أبا العلاء ولا نذمّه، لأنّ قاعدتنا في تأليف التاريخ لا تسمح لنا بذلك كما قدمنا في تمهيد الكتاب، وإنما نرجو أن نكون قد مثلنا بهذا السفر صورة حيّة من صور المسلمين في عصورهم الماضية، تدعو إلى العظمة والاعتبار..."[2] وهذا يعني أن طه حسين يعترف اعترافا صريحا بان دراسته لأدب أبي العلاء كانت تعتمد المنهج التاريخي الذي يقوم في الأساس على عرض أهم ما جاء في الفترة التي كتب فيها العمل الأدبي ووصف البيئة التي عاش بها المؤلف.

---

[1] ينظر،طه حسين: مرجع نفسه،ص235.

[2] ينظر،طه حسين: مرجع نفسه،ص634.

الفصل الثالث: قراءة في كتاب"ذكرى تجديد أبي العلاء" للدكتور "طه حسين"

8/ آراء نقدية حول الكتاب والمنهج المتبع فيه:

بعد استعراضنا لمضمون الكتاب الذي حاولنا فيه تقديم صورة واضحة عن المنهج الذي اتبعه طه حسين، تجدر الإشارة إلى أن الكتاب طبع بعنوان "ذكرى أبي العلاء"لأول مرّة بمطبعة الواعظ سنة 1915م في 410 صحة، وطبع ثانية بمطبعة المجاهد مصر سنة 1922 في 384 صفحة، من غير حذف أو تغيير.، وطبع ثالثة بعنوان "تجديد ذكرى أبي العلاء" في دار المعارف سنة 1973 في 311 صفحة وطبعة السادسة في دار المعارف سنة 1963 ويمثل منهجه هذا جانبا من أبرز الجوانب التي أعمل فيها طه حسين فكره النقدي، وهو محاولة وصل النتاج الأدبي بالزمن الذي قيل فيه، والبيئة التي عاش فيها والجماعة التي عبّر عنها وهو ما عرف بالمنهج التاريخي، الذي يعنى أساس بدراسة العوامل المؤثرة في الأدب، إذ "لا يكون الأديب (المبدع) عبقريا لو تقدم عصره أو تأخر عنه مادامت عوامل البيئة قد وجهته وأفرزته إلى هذه الوجهة"[1]

وهذا المنهج كغيره يختص بمجموعة من المقومات أهمها:

أ) أنّه يحاول أن يبلور العلاقات بين الأعمال الأدبية في إطار تاريخي زمني وهو بذلك يتعامل مع الأدب من الخارج، وتبعا لذلك فهو يحتاج إلى ثقافة واعية، وتتبع دقيق لحركة الزمن وما فيه من معطيات تنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص الأدبي، ويلعب المؤلف دور المحلل في ضوء تلك المراحل التي لا غنى عنها في العملية النقدية، وهذا ما نلاحظه بوضوح في كتاب "تجديد ذكرى

[1] ماهر فهمي،المذاهب النقدية،مكتبة النهضة،مصر،ط1،القاهرة،ص181.

أبي العلاء"، فأبو العلاء يمثل عند طه حسين صورة مرتبطة بالواقع إذ طالما كان منشدا بكل أطرافه لاتجاهات الزمن والمكان والبيئة والعصر والجنس.

إن ظهور المذهب الرومانتيكي غير نظرية النقاد "للأدب" وقد تجلت هذه النظرة في اتجاهين كبيرتين، أحدهما ينظر إلى الأدب في علاقته بمؤلفه وعلى رأس الداعيين إلى هذا الاتجاه مدام سيتال، والاتجاه ينظر غلى الأدب من خلال علاقته بمؤلفه وعلى رأس الداعيين لهذا الاتجاه سانت بيف وهذان الاتجاهان هما العمود الفقري للمنهج التاريخي".[1]

نلقى طه حسين على أيدي المستشرقين "أصول هذا المنهج الحديث الذي نجده باديا في تلك المقالات التي كان ينتقد فيها كتاب النظرات للمنقلوطي (....) وقد ظل على هذا الحال إلى أن دخل مجال الدراسة الأدبية بعمل جاد وذلك سنة 1914،حيث عدّه الباحثون المحدثون الباكورة الأولى الناضجة في حقل الدراسات الأدبية المنهجية الحديثة وذلك العمل هو "ذكرى أبي العلاء" وقيمة هذا العمل تتمثل في أنّه أوّل ترجمة عصرية متعمقة في الأدب العربي الحديث".[2]

ب) المنهج التاريخي تختص بالتوفيق في الأعمال القديمة من حيث ذكرها وحفظها وترتيب ظواهرها في سياق التسلسل التاريخي، كذكر حياة الأدباء وإنتاجهم والجمهور والعلاقات بين الكاتب ومستهلك الكتاب، وتقديم تفسيرات وشروحات لأنّه من "الرئيسي في دراسة الأدب أن نكون قاد

---

[1] أنظر:محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن،القاهرة،مكتبة أنجلو المصرية،ط3، 1962،ص28-29.

[2] محمد لخضر زبايدة:المرجع السابق،ص289.

رين على أن نستنتج تاريخا معنويا، وأن نصل إلى بعض المعرفة بالقوانين النفسية التي تعتمد عليها الأحداث".[1]

[1] حلمي مرزوق،المرجع لاالسابق،ص289.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

– المنهج التاريخي منهج قديم ظهر في أوروبا واستقطب طائفة من مؤرخي الأدب الذين كانوا ينادون بمحاولة تطبيقه في الدراسات الأدبية وإخضاعها لأساليب وقواعد علمية.

– إنّ معطيات المنهج التاريخي تعترضها بعض النواقص من أهمّها دراسة النص من الخارج؛ أي أنّه منهج سياقي يقتضي الوقوف على المغزى الواقعي الذي قد لا يكشف أحيانا رؤى النص المتمثلة في الخيال والبعد المثالي الذي تقتضيه مشاعر المؤلف (المبدع).

– يعتمد المنهج التاريخي على ثلاثة أركان رئيسية هي "الأدب" باعتباره منطلق الدراسة، و"الأديب" باعتباره الأصل الذي صدر عنه الأدب و"البيئة" باعتبارها الفضاء الجغرافي الذي يؤطر الأديب والأدب معا.

–ظلّ المنهج التاريخي يتأرجح بين النزعة الموضوعية والذاتية، ونتج عن ذلك نوع من عدم التكافؤ في توظيف المؤرّخين لكل من البعد التاريخي والفنّي؛ حيث يتضاءل اهتمام المؤرّخ بالبعد الفنّي كلّما تزايد إلحاحه على الدراسة الموضوعية والعكس صحيح.

– للنثر أهميّة كبيرة ومكانة عاليّة خاصّة في العصر العبّاسي حيث تطوّر وتحوّلت إليه الثقافات الأجنبية المختلفة من يونانية وهندية وكل ثقافات الشعوب التي عاصرت الدولة العبّاسية واكتسب كثيرا من المرونة واليسر، وقد تطوّر وتعددت أنماطه خلال هذا العصر فتراوحت بين النثر الفنّي والأدبي والفلسفي والعلمي.

خاتمة

– من خلال دراستنا لكتاب ذكرى تجديد أبي العلاء اتضح لنا أنّ معظم الظواهر الفاعلة لهذا النقد لا تخرج عمّا أنتجه العقل الغربي من رؤى ومفاهيم ومناهج حيث يبدو تأثّر طه حسين بالغربيين جليّا من خلال محاولته النقدية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العبّاسي الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،فروع الإسكندرية.

2) ابن خكان:وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تحقيق إحسان عبّاس،دار الثقافة بيروت الطبعة 01.

3) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان 1422 /2001.

4) ابن العديم:زبدة حلب في تاريخ حلب،تحقيق سامي الدهان،المطبعة الكاثوليكية،بيروت.

5) أبو العلاء المعري:لزوم ما لا يلزم، دار صادر ودار بيروت ،الطبعة 01.

6) أبو قاسم محمّد كرّو:طه حسين والمغرب العربي،مؤسسات بن عبد الله،للنشر والتوزيع تونس،الطبعة 01، 2001.

7) إحسان عبّاس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثامن هجري،دار الثقافة، بيروت، الطبعة1971،01 .

8) أحمد أمين:ظهر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية،الطبعة03، 1964.

9) الربعي بن سلامة:الوجيز في مناهج البحث الادبي،وفنيات البحث العلمي،منشورات جامعة منتوري،قسنطينة،2001-2002.

10) الزبيدي:مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث،مجلة الأفلام،العدد الثامن.

قائمة المصادر والمراجع

11) القفطي أبو الحسن:ضمن تعريف القدماء بابي العلاء،إشراف الدكتور طه حسين،دار الكتب المصرية،القاهرة1944.

12) أمين أبو اللّيل محمد ربيع:تاريخ الأدب العربي العصر العبّاسي الأوّل،الوارق للنشر والتوزيع،2009.

13) إيليا الحاوي:فن الوصف وتطوّر الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني، بيروت

14) بسّام قطّوس:دليل النظرية النقدية المعاصرة،الطبعة01.

15) بسّام قطّوس:مدخل إلى مناهج النقد المعصر،دار الوفاء،دنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، الطبعة01، 2006.

16) جيروم ستولينتز:النقد الفنّي دراسة جمالية وفلسفية،ترجمة الدكتور فؤاد زكريا المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة02، 1981.

17) خالص وليد محمد:أبو العلاء المعري...ناقدا،مكتبة أبو ظبي،1986م.

18) خريباني جعفر:أبو العلاء المعري،رهين المحبسين،ص 47 وما بعدها،نقلا عن خطبة الفصيح لأبي العلاء.

19) طه حسين:أبو علاء المعري،دار الكتاب العربي،بيروت،الطبعة01، 1974.

20) طه حسين:تجديد ذكرى ابي العلاء،دار المعرلاف،مصر،الطبعة06 ،1963.

21) طه حسين:فن الشعر الجاهلي،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،1926.

22) طه حسين:الأيام،مركز الأهرام للترجمة والنشر،القاهرة1991.

23) طه حسين: من تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت المجلّد الثالث، الطبعة02، 1987.

قائمة المصادر والمراجع

24) يوسف وغليسي:مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها،تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع،الجزائر،الطبعة01، 2007

25) ماهر فهمي:المذاهب النقدية،مكتبة النهضة،مصر،القاهرة،ط01.

26) محمد جلاء إدريس:مناهج البحث العلمي،نظريا وتطبيقيا،الجامعة الإسلامية العلمية،1998 .

27) محمد عبد الحميد:البحث العلمي،في الدراسات الإعلامية،القاهرة،عالم الكتب، الطبعة02، 2002.

28) محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن،دار النهضة مصر،القاهرة،الطبعة 3 .

29) محمد مصايف:دراسات في النقد والأدب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

30) مسعود ميخائيل:أدباء الفلاسفة،دار العلوم للملايين،بيروت،الطبعة01، 1993.

31) محمد النويهي:ثقافة النقد الادبي،مكتبة الخانجي،بيروت،ط2، 1969م.

32) سلام محمد زغلول:تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع هجري،دار المعارف، القاهرة،1964م.

33) سعد البازغي وميجان الرويلي:دليل الناقد العربي،المركز الثقافي،الطبعة الثالثة.

34) عبد السلام المسدي:في آليات النقد الأدبي،دار الجنوب،تونس،1994.

35) عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار النهضة العربية،بيروت.

قائمة المصادر والمراجع

36) عبد القادر عبد الجليل:علم اللسانيات الحديثة،دار الصفاء،الأردن،الطبعة 01، 2004.

37) عبد الله عنبر:المناهج النصيّة والنظريات النقدية،دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلّد37 العدد الأوّل 2010.

38) فاطمة بن حميد بن جود الله الحسني:فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،2009.

39) صالح هويدي:النّقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه منشورات جامعة السابع من أفريل، ليبيا ط01، 1426.

40) شايف عكاشة:نظرية الأدب في النقد التأثري العربي المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية، بنى عكنون الجزائر،1994.

41) شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الأوّل،منشأة المعارف الإسكندرية، مصر.

42) تشارلز داروين:أصل الأنواع،ترجمة حمدي محمود المليحي،تقديم سمير حنا صادق المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة 2004.

43) حامد حنفي داوود: تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر،الطبعة02، 1993.

44) حلمي مرزوق: تطوّر النقد والتفكير الأدبي الحديث في الرّبيع الأوّل من القرن العشرين،دار الوفاء للطباعة والنشر،الطبعة 01، 2004.

45) حنا الفاخوري:الجامع في تاريخ الأدب، دار الخليل،بيروت.

فهرس المحتويات

البسملة
كلمة شكر
الإهداء
مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول

المناهج السياقية.....4
نشأة المنهج التاريخي.....5
خصائص المنهج التاريخي.....14
تجليات المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث.....16
تجليات المنهج التاريخي في النقد العربي القديم.....18

الفصل الثاني

تمهيد.....21
اسمه-كنيته-لقبه.....21
مولده ونشأته.....22
شخصيته.....24
آثاره الأدبية.....25
وفاته.....27
مكانة النثر في العصر العباسي.....29
النقد الأدبي عند أبي العلاء المعري.....34

الفصل الثالث

نبذة عن حياة طه حسين.....41
مؤلفاته.....43
ثقافته.....45
الأعلام الذين تأثر بهم طه حسين.....47
منهج طه حسين النقدي.....52
مضمون الكتاب: "تجديد ذكر أبي العلاء".....55
آراء نقدية حول الكتاب والمنهج المتبع فيه.....64
خاتمة.....67
قائمة المصادر والمراجع.....69

فهرس المحتويات